

天

天

天

22

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.U.B. LIBRARY

L'BI
STAN

هدية من مجلة الجامعة الى قرائها *

الكوخ الهندية

او

اين نجد الحقيقة وكيف نجد لها

بقلم

فرح الطون

منشور في مجلة الجامعة

848

S149KA

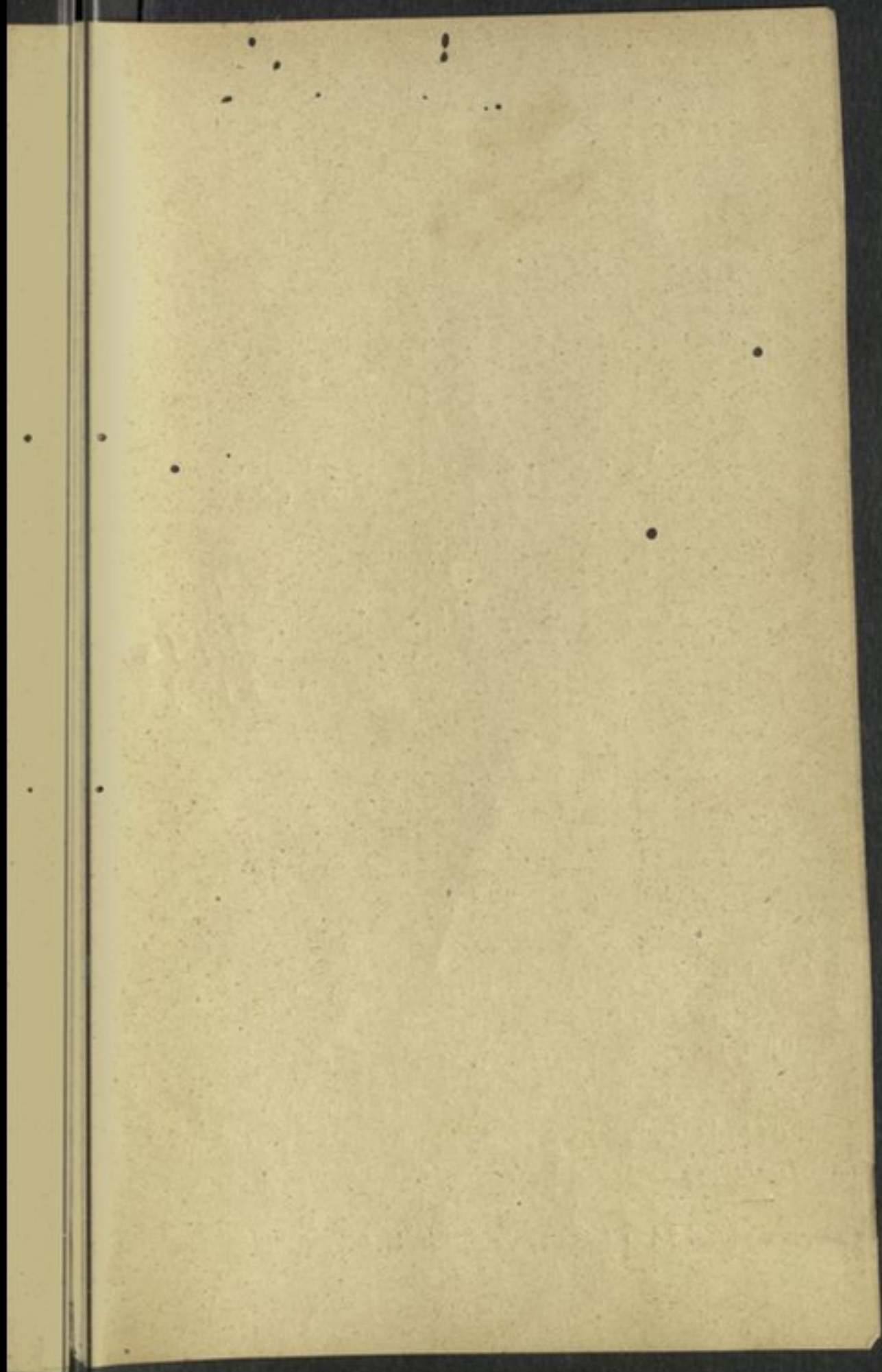
1901

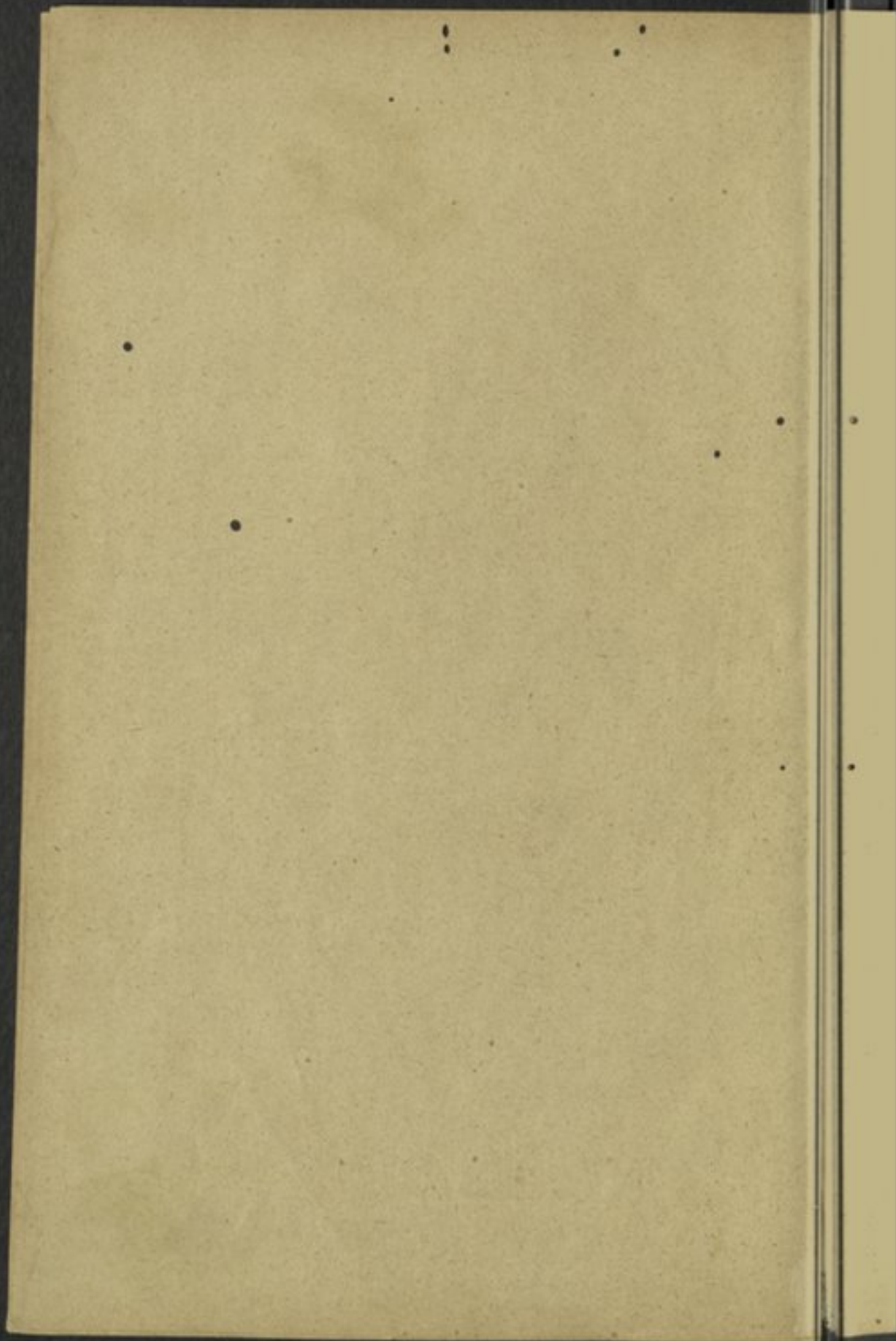


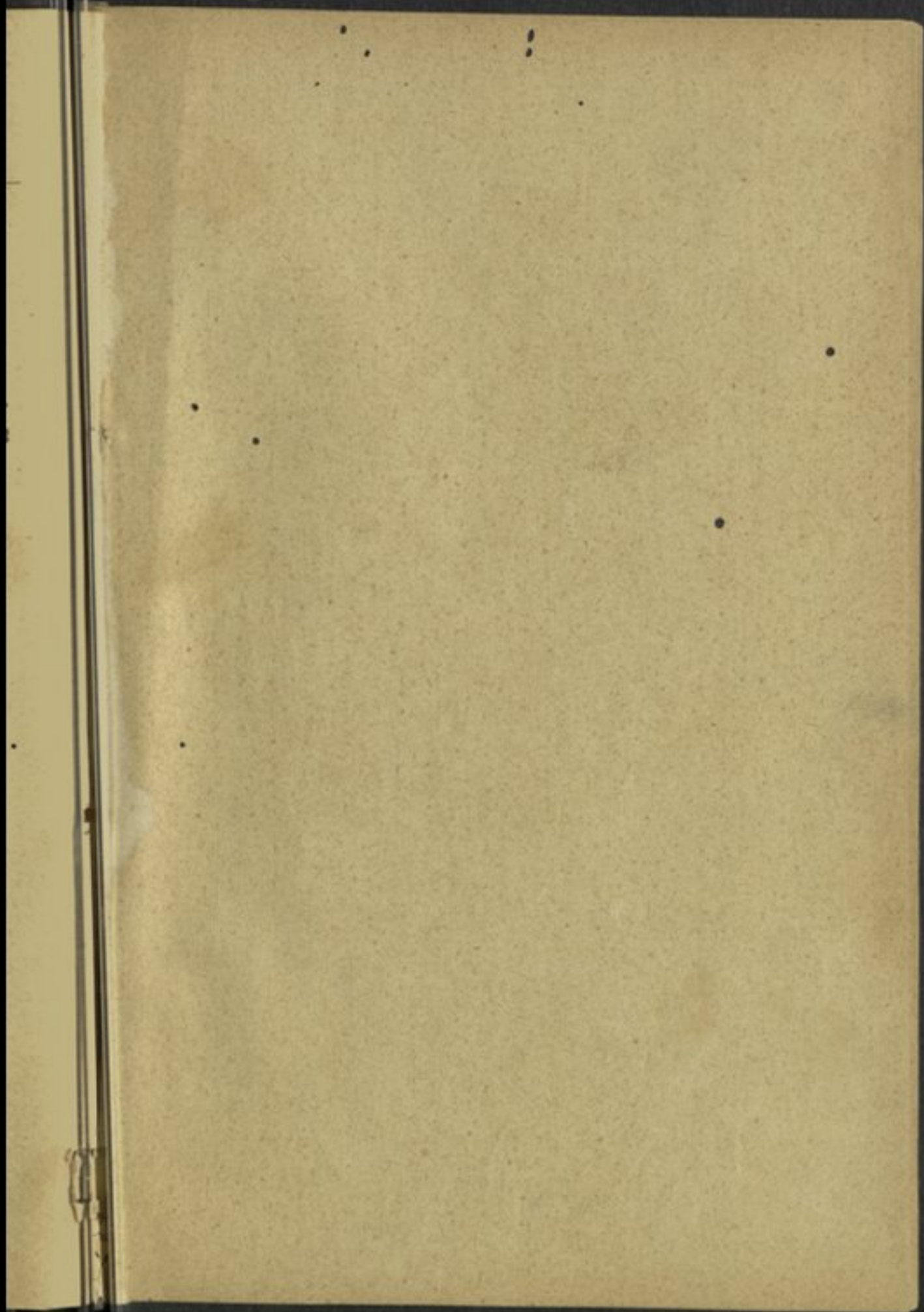
* رسم مؤلفه برناردين الشهير *

رواية فلسفية من تأليف الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير . وقد كان نابوليون
الاول شديد الإعجاب بها حتى انه كان كلما لقي برناردين مؤلفها يقول له « متى تكتب
لنا كوخا هنديا ثانيا » اما موضوعها فهو البحث عن الحقيقة وتقرير ماهيتها والطريق اليها
وتغزل ذلك كلام عن البراهمة كهنة الهند وعن رثتهم واخلاق الهند ووصف شوخوتهم
واكتشاف الحقيقة في الهند مهد الفلسفة والحكمة . وكل هذا في قالب قصة لطيفة يجدر
بجمهور العقلاء ان يطالعوها بامعان كثير . وهي مصدره بترجمة المؤلف وفيها عدة رسوم

الاسكندرية . في اول اغسطس (آب) ١٩٠١







ترجمة المؤلف

« قال برنارد بن دي سان بيير مؤلف هذا السفر الجليل
 في كتابه " بولس وفرجينى " ما ملخصه .
 « ان صناعة الادب صناعة سماوية استنزها الانسان بعد
 تمدنه فاعظم شرف للانسان على هذه الارض هو ان يكتب .
 كتاباً . لانه به ينير عقول الشعوب ويعزى الخزانى ويخفف
 احمال المتعبين (١) واي رجل لا يضرب صفحات من مصائب
 الحياة ولا يستخف متاعها اذا كان يعلم ان كتابه سينتقل من
 قرن الى قرن ومن جيل الى جيل كمصباح ينير الظلمات وحاجز
 يصد الضلال . وانه من المكاتب الصغير الذي عاش فيه
 يخرج مجد باهر يمحو مجد كثيرين من الملوك الذين تفتى
 آثارهم وتوضع التماثيل التي اقامها لهم المتزلفون منهم في زاوية

(١) وقال الخليفة المؤيد « الكتابة اشرف مراتب

الدنيا بعد الخلافة »

(ب)

النسيان مع ان آثار ذلك الكاتب لا تزول
ومن حقنا ان نذكر هذا الكلام الذي قاله برناردين
في صدر هذا السفر الذي لخصناه عنه للدلالة على صدقه . فقد
نسي الناس أسماء الملوك الذين عاصروا برناردين وعنى الزمان
ذكر الوزراء والعظماء والكبراء والاعنياء الذين عاشوا في
زمانه مع ان اسم برناردين لا يزال يدوي في الجهات الاربع
وها نحن ننشره الآن في الشرق والغرب بين الوف من القراء
بعد انقضاء نحو قرن على وفاته

ولقد توفي برناردين في ارايبي من اعمال فرنسا في عام
١٨١٤ وولد في الحافر عام ١٧٣٧ وكان ابوه مديراً لشركات
مركبات السفر في الحافر فنشأ برناردين في الفقر وتلقى دروسه
الابتدائية في مدرسة للآباء اليسوعيين في كابين وفي مدرسة
اخرى في روين . وقد اكثر في صغره من مطالعة كتاب
روبنصن كروزي وكتاب سير القديسين وسافر الى المرتنيك
وكان كثير الجلوس على شاطئ البحر والتأمل فيه وساح
سياحات كثيرة مع راهب يدعى « الاخ بولس » فكل هذه
الشؤون غرست فيه ميلاً الى الطبيعة ونفوراً عن الناس وحباً

شديداً للرحلات البعيدة . فقام في نفسه ان يزين لحكومة
 روسيا انشاء مستعمرات في شواطئ و بحيرة « ارال » فسافر الى
 بطرسبرج فعرف فيها المرشال دي موننج والجنرال بوسكه
 والمسيودي فيلبوى . فقال اليه المرشال واصطنعه . اما الجنرال
 بوسكه فانه « قدم له يد ابنة اخيه » اي اقترح عليه الاقتران
 بها فاعندز برناردين لانه كان فقيراً . واما المسيو فيلبوى فانه
 سعى فجعله ضابطاً في الجيش الروسي وقربه من الامبراطورة
 كاترين الثانية فكان اقرب المقربين اليها فيما قالوا لانه كان
 صبور الوجه لطيف المنظر كما ترى في رسمه وبعضهم زعم انه
 صار عشيقها . ثم ارسلوه بمهمة الى فينلنده ولما عاد منها ارسلوه
 الى بولونيا ولكنه لم يلبث ان ستم الشئون السياسية السرية
 التي كان يمارسها فقفل راجعاً الى وطنه . فعرض عليه فردريك
 الكبير ملك بروسيا رتبة ضابط في الجيش البروسي في عودته
 فابى برناردين ذلك وعاد الى باريز فاصطنعه المسيودي برتويل
 وارسله الى « جزيرة فرنسا » احدى المستعمرات الفرنسية . فبقي
 في المستعمرة ضابطاً ومهندساً وهو يبعث من حين الى حين
 رسائل الشكوى الى المسيودي برتويل حتى ستم منه فتخلى

عنه . وبعد مدة عاد الى باريس فقيراً كما ذهب منها وقد
 سئم الاستخدام في الحكومة وعزم على « ان يعيش من ثمار
 بستانه » كما قال اي من شق قلبه . فعكف على الكتابة والتأليف
 ومنذ هذا الحين دخل في الطريق المستقيمة التي خلق
 اسلوبها دون سواها . فالف برناردين كتباً كثيرة منها سياحة
 الى (جزيرة فرنسا) . وسياحة الى راس الرجاء (الكاب) .
 واركاديا . ودروس طبيعية وهي اقسام . والطبيعة والادب .
 وسياحة في سيليزيا . وموت سقراط . وكلام عن الجرائد .
 وكلام عن جان جاك روسو . وقصص السفر . وغيرها من
 الكتب والاسفار المفيدة .

ولما انتشر بين الناس اول هذه الكتب (وهو سياحة
 في جزيرة فرنسا) اقبل القراء من كل جانب عليه وشعر الخاصة
 والعامه ان هذا الكاتب قادم اليهم باسلوب جديد وطهجة
 جديدة . فقد كانت عبارته رفيقة تكاد تذوب طلاوة وحلاوة
 وكان له في وصف المناظر الطبيعية والعواطف الابدية والدينية
 اسلوب لم يظهر على قلم غير قلبه . فانهاالت على الكاتب كلمات
 التنشيط والثناء ومعها المال الكثير لان تلك من ينس هذا قلما

تجدي نفعا . فسعى له رئيس اساقفة اكس فمُنحته الحكومة راتباً قدره الف فرنك . وعينت له احدى الجرائد ٦٠٠ فرنك والدوق دورليان ٨٠٠ فرنك وعين له احد اقلام الحكومة الف فرنك ايضاً وريح من كتبه لاول مرة ٦ الاف فرنك فابكتفي برناردين الحاجة بهذا المال واستطاع التفرغ للتأليف والكتابة . فانار بقلمه سماه فرنسا وقتاً طويلاً وصار الناس يزدحمون على صداقته بقدر ما كانوا يتعدون عنه قبل شهرته ولكن اهم الكتب التي كتبها كتابان لم نذكرهما الآن •

بين كتبه • وهما «الكوخ الهندي» الذي نحن في صدد «وبولس وفرجيني» اما الكوخ الهندي فلا نذكر عنه شيئاً لانه امام القارىء . واما كتاب «بولس وفرجيني» فقد خلد اسم برناردين الى الابد ووضعه في مصاف هومبروس وفرجيل وتاسيت وغيرهم من الخالدين

اما موضوع هذا الكتاب فهو وصف الطبيعة ونعاسنها وانتقاد التمدن الحالي وسرد قصة عيلتين عاشتا معاً في الطبيعة في كوخين صغيرين وكان لاحدهما غلام يدعى بولس واللاخرى فتاة تدعى فرجيني وكل القصة مبنية على حب

(ح)

هذين الولدين بكلام كانه الشعر الحلال ووصف كانه الماء
الزلال . وربما نقلنا هذا الكتاب الى اللغة العربية او لخصناه
تلخيصاً في الجامعة لما فيه من المبادئ الادبية والطبيعية السامية
الواجب نشرها بين الناس . وقد قال احد المؤلفين انه يراهن
على انه لا يوجد في العالم كله شخص يقرأ هذا الكتاب ولا
يبكي بكاءً مرّاً . واذا وجد شخص كهذا الشخص . فيجب ان
يكون قد قد من جلد . وقد جربنا ذلك بانفسنا فقرأنا هذا
الكتاب مع صديق منذ بضع سنوات فكانت دموعنا تمزج
بدموعه حين القراءة امتزاجاً كان حلواً في اوله لان البكاء
كان من الحنو ورقة الكلام ثم صار مرّاً في آخره لانه كان
متحلباً عن حزن عظيم لفاجعة مؤلمة تثير العواطف من اعماق
النفس وتحركها كما تحرك الزوبعة الاعشاب

ولما نُشر هذا الكتاب في باريس (عام ١٧٨٩) قام له
عالم الادب وقعد ولم يولد غلام في ذلك العام الا وسمي « بولس »
ولا ابنة الا وسميت « فرجينى » . وقد زور ناشرو الكتب
طبعة هذا الكتاب ٣٠٠ مرة اي انهم طبعوه ٣٠٠ طبعة من
غير علم المؤلف . وقد كان « للكوخ الهندي » من الالهية ما

(خ)

كان « لبولس وفرجينى » اما باقى كتب برناردين فانها دون
هذين الكتابين

ولما بلغ برناردين هذا الشأ و كان قد وصل الى قمة جبله
(اطلب تفسير ذلك في الصفحة ٤٧ السطر ٨) وكان
اكتب كتاب زمانه بعد جان جاك روسو الذي كان
استاذة . وقد تزوج برناردين مرتين واخذ في كل مرة دوطة
طائلة مكنته من ابتياع منزل بعيد عن الناس والمعيشة فيه
بين الازهار والاشجار والدفاتر والمخابر براحة وسلام كما عاش
صاحب الكوخ الهندي في هذا الكتاب . وقد توفيت زوجته
الاولى وهي مستاءة من هذه المعيشة اما زوجته الثانية فان
الانفراد كان منطبقاً على ذوقها فعاشا معاً سعيدين مستترين .
ولما توفي برناردين افتقرت زوجته بالكاتب ايمه مارتين المشهور
فتولى هذا الكاتب طبع كتب برناردين . وقد طالعنا من
كتب « ايمه مارتين » كتاب « تربية امهات العائلة »
فراينا فيه بكثير من الاستشهاد ببرناردين ويلقبه بالقاضل
مراراً وما كنا ندري يومئذ انه زوج امراته
هذا وقد عرفنا الى الآن قراء اللغة العربية ببادى رجلين

من اقطاب الادب والفلسفة في العالم وهما جول سيمون والكونت
لاون تولستوي . فيسرنا الآن ان نعرفهم بمبادئ كاتب
ثالث هي ارق واعذب من مبادئ الفيلسوفين اللذين تقدم
ذكرهما وان لم تكن اعظم منها . وقد اخترنا نشر هذه المبادئ
الادبية الفلسفية الجميلة على غيرها من المبادئ العلمية او
التاريخية لاننا نرى الحركة الادبية والحالة الاجتماعية محتاجة
اليها والقراء في جميع الاقطار اكثر ميلاً اليها منهم الى سواها .
نعسى ان ينتفع بها طلابها

✽ فرح انطون ✽

منشور مجلة الجامعة

نہا
ب
تلم
ی
او
ج
س

١٠٠

و

بعد

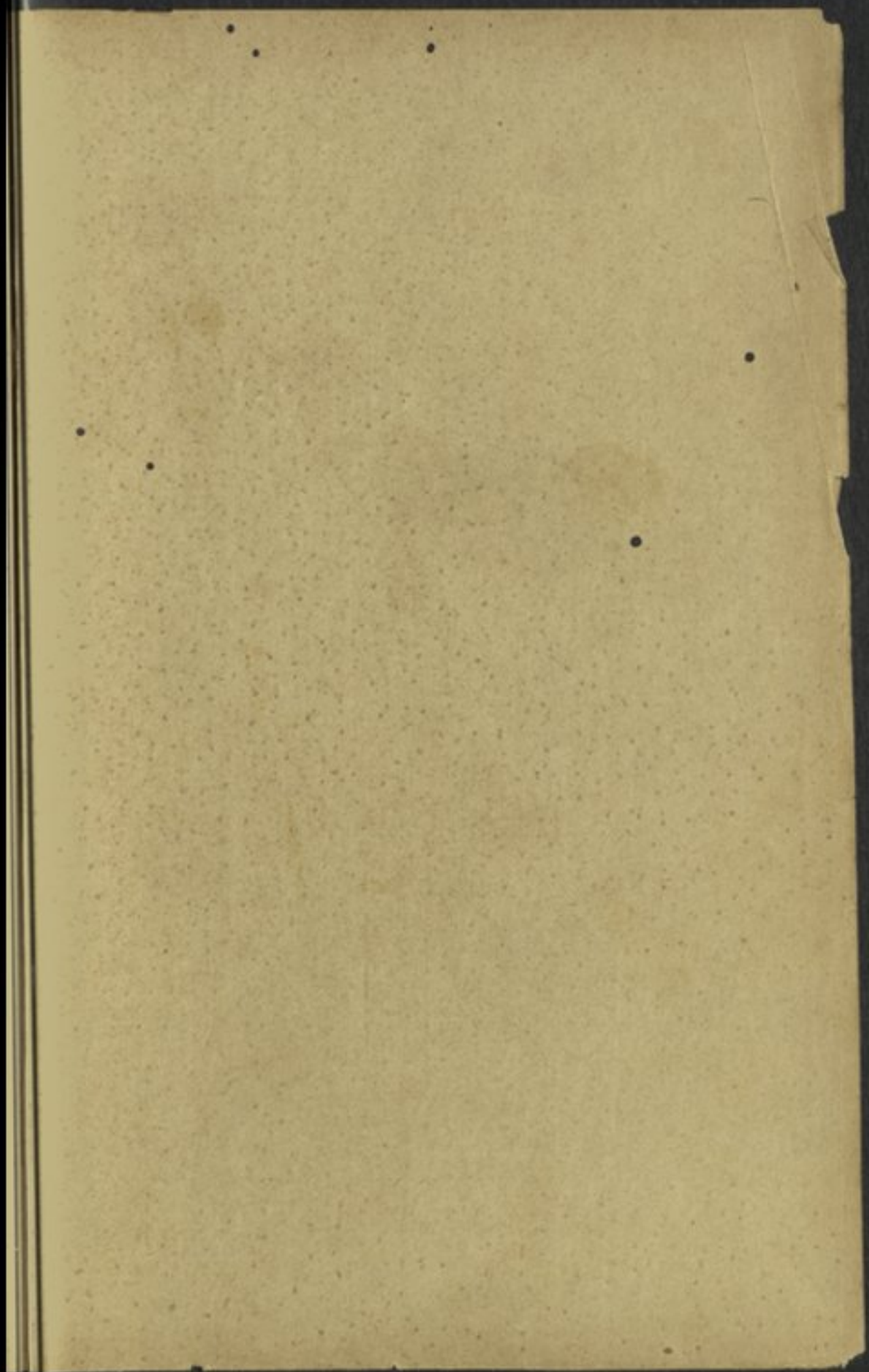
علي

ال

(تمن للمعرب)

تمن للمعرب

نتمنى أن لا تخلو مكتبة من هذا الكتاب
وان يضع كل معلم وكل معلمي في يد كل تلميذ وكل تلميذة
• نسخة منه بعد قراءته في ساعة الدرس وشرح مبادئه
وان تضعه كل أم في خزانه ابنتها بين مواد زينتها
وان يقع في ايدي جميع العقلاء الذين يطلبون الفائدة
ويطربهم صوت الفضيلة
ولا ريب عندنا ان كل من يطالعه بامعان وتروية يشعر
بعد مطالعته بانه صار افضل وارقي منه قبل مطالعته ويرى
على الورق شيئاً من مبادئ الحقيقة والفضيلة والاخاء والعظمة
الحقيقية التي قلما يرى منها شيئاً في هذا العالم



الفصل الاول

• سفر العلماء الى اقطار العالم للفتيش عن الحقائق

انعقد في لندن منذ زمن بعيد مجمع مؤلف من بعض
 علماء البحث عن الحقائق العلمية والفتيش في جميع اقطار العالم
 • عن كل ما من شأنه اثارة عقول البشر وترقية شوؤونهم
 وزيادة راحتهم • وقد انضم الى هذا المجمع كثيرون
 من نبلاء الانكليز واساقفتهم وتجارهم وبعض امراء الاسرة
 الانكليزية المالكة وبضعة من امراء شمالي اوروبا
 وكان عدد العلماء في هذا المجمع عشرين عالماً • فالتقى
 المجمع الى كل واحد منهم سفرًا فيه بيان المسائل العلمية التي
 عزم على ارسالهم الى اقطار الارض للبحث عن حل لها وعددها
 ثلاثة الاف وخمس مائة مسألة • وكانت كلها مع اختلاف
 موضوعها ملائمة لطبيعة الاقاليم التي تقرر البحث فيها ومرتبطة
 بعضها ببعض اشد ارتباط حتى اذا انحلت احداها انحلت معها

ما ينقدمها وما يليها كأن رئيس المجمع الذي انشأها بمساعدة رفاقه الاعضاء قد شعر بان القضية قد يتوقف حلها على حل قضية اخرى مرتبطة بها وهلم جرا

وكان الرئيس يرى ان هذا العمل الذي عزم المجمع على عمله سيكون اعظم الاعمال العلمية التي اقدم الانسان عليها لانه يكشف الغطاء عن مجهولات الكون ويجمع شتات الحقائق المنفرقة على ظهر الكرة الارضية . قال . واذا نجح هذا العمل العظيم كان اعظم دليل على ضرورة الهيئات الاكاديمية (المجمع العلمية) لجمع الحقائق العلمية من اطراف العالم

وقد عهد المجمع الى اولئك العلماء فوق ما تقدم من البحث في المسائل التي اشرنا اليها ان يتابعوا في طريقهم كل ما يجدونه من نسخ التوراة القديمة والكتابات والاثار القديمة . واذا لم يتمكنوا من اتياعها فليستخوها او يستنسخوها . ثم ان زملاءهم اللوردات والامراء اعطوهم تمهيداً لهذا السبيل رسائل توصية الى سفراء انكلترا في الجهات التي يقصدونها فضلاً عن الحوالات المالية التي هي انفع من رسائل التوصية كما لا يخفى

الفصل الثاني

ماذا حدث لاحدم وهو اشهرهم

وكان اشهر هؤلاء العلماء عالم كبير يعرف اللغة العبرانية والعربية والهندية فسار الى الهند مهد الفلسفة والفنون ليجت فيها . فمر اولاً بيهولانده فزار المجمع العبراني في امستردام وجمع دوردريخت ثم عرج على فرنسا فزار كلية السوربون واكاذميتها . ومنها قصد ايطاليا فزار كثيراً من الجمعيات والمكاتب والمتاحف منها متحف فلورنسه ومكتبة سان مارك في البندقية (فينيسيا) ومكتبة الفاتيكان في رومه . واذ كان في رومه خطر له الشخص من اسبانيا لزيارة كلية سالمانكه الجامعة ولكن خوفه من ديوان التفتيش اثناء عن عزمه وجعله يؤثر السفر راساً الى تركيا فسار الى الاستانة ووقف على الكتب الثمينة التي في جامع آجيا صوفيا

ولما قضى وطره من الاستانة قصد مصر وباحث علماء الاقباط فيها ثم اتى لبنان وباحث علماء المارونيين ورجال جبل الكرمل . وبعد ذلك شخص الى سانا في بلاد العرب

ومنها الى اصفهان فزار قندهار ودلهي واكرا
 وهكذا صرف في سياحته ثلاث سنوات وهو ينتقل من
 مكان الى مكان ويناضر العلماء في كل بلاد نزل فيها حتى انتهى
 الى ضفاف نهر الكانج الى بيناريس التي هي من الهنود بمنزلة
 آثينا من اليونان . اما ما جمعه في اثناء هذه السياحة من
 الكتب والنسخ القديمة والكتابات والاثار في كل فن وعلم
 فحدث عنه ولا حرج . فانه جمع مجموعة لم يجمعها احد قبله
 وليس لاحد ان يجمعها بعده . وكفى في وصفها ان يقال انها
 كانت مطوية في تسعين « رزمة » زنتها الفان وثلاثمائة وست
 وثمانون افة . وكان الدكتور مسرورا بها لانها جاوزت آمال
 المجمع الذي بعثه لجمعها

الا ان الدكتور جلس في ذات يوم يفكر في سياحته
 ويقلب « رزم » مجموعته فخطر له خاطر ملام نفسه حزنا وانقباضا .
 ذلك انه سأل نفسه : « اي امر عظيم صنعت بعد كل ما
 جمعت من الكتب المختلفة والاثار المتباينة . انني باحث علماء
 الديانات اليهودية والبروتستانتية والكاثوليكية والارثوذكسية
 والاسلامية والارمنية والفارسية والهندية وذاكرت اكاذيبات

الكوخ الهندى

باريز وكريسكا واركاند واربع وعشرين اكاذيمية اخرى .
ومع ذلك فاني عجزت عن حل مسألة واحدة من ال ٣٥٠٠ مسألة
التي ارسلت للسؤال عنها والبحث فيها



الدكتور جالس يتأمل ماذا جنى من تعبته والى جانبه
الآثار التي جمعها

وكانت هذه المسائل مقسومة اقساماً . فمنها ٢٠٠ مسألة
في الديانة العبرانية و ٥٨٠ في الكنيسة اليونانية والرومانية

وفروعها و٣١٢ في ديانة البراهمة القديمة و٥٠٨ في اللغة السنسكريتية اي لغة الهنود المقدسة و٣ في حالة الهنود الاجتماعية الحاضرة و٢١١ في التجارة الانكليزية في الهند و٧٢٧ في الآثار القديمة التي في جزائر اليابان وسانسيت وبومباي و٥ في تاريخ العالم وقدمه و٦٧٣ في مصدر الند السنجابي وحجر البازورد وانواعه العديدة و١ في السبب الذي يدفع الاوقيانوس الهندي ستة اشهر الى الشرق وستة الى الغرب وهو الامر الذي لا يزال مجهولاً و٣٧٨ في مصادر نهر الكانج وفيضانه . وقد عهد الى هذا العالم فوق ذلك ان يبحث بحثاً مدققاً في مصادر نهر النيل واسباب فيضانه لان ذلك شغل عقول العلماء قروناً عديدة . ولكنه لم يكن يلتفت كثيراً الى هذه المسألة لانها كانت خارجة عن دائرة ابجائه الاصلية فضلاً عن ان جعبة العلماء كانت قد فرغت في المناظرة فيها

فعند ما عدّ العالم الانكليزي المسائل التي مرّ ذكرها اخذ يقول في نفسه : « ماذا استفدت من كل الاثار التي جمعتها . ان هذه الكتب والاسفار والملاحظات تجيب كلها عن المسائل المطلوب حلها اجوبة متناقضة متباينة . فاذا

افترضنا انها تجيب عن كل مسألة منها خمسة اجوبة متباينة فقط كان مجموع اجوبة ١١ ٣٥٠٠٠ مسألة ١٧٥٠٠ جواب ٠ واذا افترضنا ان كل واحد من زملائي التسعة عشر الذين ارسلوا للبحث مثلي قد جاءوا بهذا العدد من الاجوبة ترتب على المجمع الملكي المذكور آنفاً ان يحل ثلاثمائة وخمسين الف مسألة قبل ان يتمكن من تقرير حقيقة ووضع مبداء على اساس وطيد اذن فالجموعة التي جمعها هو ورفصاؤه كانت نتيجتها ابعاد المسائل المطلوب حلها الواحدة عن الاخرى بدلاً من جمعها وتوجيهها كلها الى مركز واحد ونقطة واحدة . وذلك مما يزيد ظلام العقول ظلاماً ويزيد البعد عن الحقيقة بعداً . وهذا هو الامر الذي ساءه وملاً نفسه حزناً وانقباضاً . فجعل يقول في نفسه " ماذا صنعت اذا كنت بعد كل ما عانيت من المشاق والاضطهاد لا احمل لابناء وطني في هذه الرزم الكثيرة سوى وسائل جديدة للشك والارتياب ومواضيع جديدة للمناظرة والخصام "

الفصل الثالث

طلب المحببة في قصر راس البراهمة

وقد كان يفكر في ذلك وهو على اهبه العودة الى انكفرا
وفي نفسه مرارة الضجر والياس واذ بلغه من براهمة بيناريس
ان راس البراهمة المقيم في هيكل "جاكر بنا" قادر وحده على
حل جميع المسائل التي كان يسأل عنها . وكان هذا الهيكل
قائماً على شاطئ اوريكسا بجانب البحر قريباً من احد مصاب
نهر الكانج

اما هذا البرهمي فانه كان اعظم البراهمة في ذلك الزمان
واوسعهم علماً واكثرهم شهرة وقد طبق صيته الخاقين فكان
الهنود وغير الهنود يقدون عليه من كل اقاليم الهند وممالك آسيا
لاستشارته واستفتائه

فسافر الدكتور في الحال الى كلكتا وقابل مدير الشركة
الانكليزية الهندية واطلعه على عزمه . فاجلالاً للعلم وللوطن
الذي ينتمي الدكتور اليه قدر المدير هذا الامر قدره واعدت
للدكتور معدات السفر . فخرج الدكتور من كلكتا بمحاشية



الدكتور جالس في هودج هندي وسائر في ركب هندي
لمقابلة رأس البرامة

غريبة الازياء . فانه ركب هودجا هنديا يحمله ثمانية رجال
من اقوياء الهنود على اكتافهم وصحبه رجال غيرهم واحد
منهم حمل الماء وثان حمل الابر يق وثالث حمل النار جيلة ورابع
لحمل مظلة نبي الدكتور حر النهار وخامس حمل النور في الظلام
وسادس لجمع الحطب وشقه وطباخان لاصلاح الطعام وجمالان

بقائديهما لنقل المؤونة والاثقال وساعيات لاعلان حضوره
واربعة فرسان على جياد فارسية لحراسته ورجل لحمل العلم
الانكليزي في المقدمة . وكان مدير الشركة عالماً بعبادات الهند
فلم يكن يجهل انه لا يجب المثول لدى كبرائهم بايدي فارغة
ولذلك اعدّ للدكتور هدية ليرفعها الى رئيس البراهمة . اما
هذه الهدية فكانت تلسكوباً بديعاً وبساطاً فارسياً جميلاً يليق
بان يسط تحت قدمي عظيم البراهمة فضلاً عن انسجة جميلة
لامراته وثلاث قطع من النفط الصينية الحمراء والبيضاء والصفراء
ليجعل منها وشائح لتلامذته . فوضع الدكتور هذه الهدايا في
هودجه ثم سار بمحمولاً على اكتاف الرجال قاصداً هيكل
جاكرينا

الفصل الرابع

بأي سؤال يبتدى

وفيا هو سائر على اكتاف رجاله اخذ يقلب سفر المجمع
 الملكي ويبحث فيه عن المسائل التي يجب ان يستهل بها كلامه
 مع رئيس البراهمة . فجعل يسال نفسه قائلاً :
 أ استهله باخذى المسائل المتعلقة بنهر الكانج ام بالمسألة
 المختصة بالبحر الهندي وتعاقب امتداده الى الشرق والغرب فاننا
 اذا وقفنا على اسباب هذا الامتداد تمكنا من الاستدلال على
 مصادر الاوقيانوس وحركاته في كل اقطار العالم . ولكن
 الدكتور ما لبث ان عدل عن هذه المسألة لانها على اهميتها
 كانت لا تزال في حيز الاهمال . فرأى ان يساله اولاً هذا
 السؤال : « هل كان الطوفان عاماً على الارض » فان هذا
 الامر قد اضرم نار الجدال والخصام مرات عديدة . ثم عدل
 عن هذا وبداله ان يساله عما جاء في تقاليد المصريين حسب
 رواية هيروودوتس من ان الشمس غيرت مجراها مراراً فكانت
 تشرق من المغرب وتغرب في المشرق . ولكنه رأى ان يعدل

عن هذا السؤال ايضاً ويختار الاستفهام منه عن قدمية العلم
وتاريخ الخليفة الذي يجعله الهنود منذ عدة ملايين من السنين .
ثم جال في خاطره ان يساله عن حقوق الانسان وواجباته
واحسن الحكومات وافضلها لسياسة الشعوب . الا ان هذه
المسائل لم تكن واسفاه من ضمن مسائل المجمع .
• وبينما هو يجيل هذه المسائل كلها في خاطره استوى بغته
جالساً في الهودج والتي الكتاب من يده وقال في نفسه : لا
هذه ولا تلك . بل استهل كلامي مع رئيس البراهمة بسؤاله
عن الحقيقة واين نجدها وما هي الطريق اليها فان حل هذه
المسألة بمنزلة حل جميع المسائل التي لدي . نعم اين نجد الحقيقة
وما هي الطريق اليها ؟ فان قيل اننا نجدها في الكتب قلت
ان جميع الكتب متناقضة متباينة . وان قيل ان العقل يوصلنا
اليها ويعرفنا بها اجبت ان العقل يختلف في البشر باختلاف
اذواقهم وتربيتهم واخلاقهم ومصالحهم . فاذا اجابني رئيس
البراهمة وحل مسالتي اصبحت قابضاً على مفتاح الحقائق الاديية
والعلمية كلها فانفتح بها حينئذ اقفال المسائل التي معي واعيش
بواسطتها مع الناس براحة وسلام

هذا ما كان الدكتور يفكر فيه وهو سائر على اكتشاف
الرجال

الفصل الخامس

الوصول الى هيكل جاكرينا

وبعد مسير عشرة ايام بلغ خليج بنكال فكان يلقى في
طريقه افواجا افواجا من الناس عائدين من هيكل جاكرينا
وكلمهم السنة ناطقة بفضل راس البراهمة الذي تشرفوا بتقابلته
لاستفثائه واستشارته فادعاهم بسمو مداركه وسعة معارفه
ولما طلع صباح اليوم الحادي عشر ظهر للدكتور هيكل
جاكرينا القائم على شاطئ البحر وبدت له جدرانها الحمراء
الضخمة واروقته وقبابه وابراجها الصغيرة المصنوعة من الرخام
الايض . وكان هذا الهيكل قائما في ملئتي تسعة طرق كبرى
على جوانبها صفوف الاشجار الظليلة الدائمة الخضرة . وكان
كل واحد من هذه الطرق يؤدي الى واحدة من الممالك
التالية : سيلان وخواكند وبلاد العرب والفرس وثيبة والصين
وآفا وسيام وجزائر البحر الهندي . وكل واحد منها مغروس



هيكل جاكرينا مقام رأس البرامقة - الدكتور والبرهي
البواب امام الباب

بنوع من الشجر . فاحدها مغروس بالنخيل الهندي والثاني
بالنارجيل والثالث بالعنباة والرابع بالكافور والخامس بالخيزران
والسادس بالموز والسابع بالصندل والثامن بشجر التيك والتاسع
بشجر اللاتانيه

اما الدكتور فوصل الى الهيكل من الطريق المغروس
 بالخيزران وهو الذي يجاور الكانج والجزائر الجميلة التي هي عند
 مصبه . ولما بلغ الهيكل وتامله عن قرب عرته دهشة مما شاهده
 في بنيانه من الضخامة والتمخامة . فقد كانت ابوابه البرونزية
 تتألق تحت اشعة الشمس تالقي البلور والنسور حائمة حول
 قبابه الشاهقة التي كانت تناطح السحاب وتواري في العنان .
 وكان محاطاً باحواض كبرى من الرخام الابيض تنعكس الى
 مائها الصافي صورة قبابه واروقته وابوابه . حول ذلك كله فناء
 متسع وحدائق فسيحة فيها كثير من الابنية يسكنها البراهمة
 القائمون بخدمة الهيكل

ولما دنا الدكتور من ابواب الهيكل تقدمه سعمانه ركضاً
 لاءلان قدومه . فما دخل هو لاء حتى خرجت من احدى
 الحدائق بعض العذارى الهنديات ممن وظيفتهن الرقص والغناء
 امام الهياكل واستقبال الزائرين فامرعن لملاقة الدكتور بالغناء
 والرقص وفي اعناقهن وخصورهن عقود واكاليل من زهر طيب
 الرائحة . فسار الدكتور مع رجاله يمينهن وهن رافصات منشدات
 تبعث منهن الروائح العطرة

ولما دخل الدكتور الى فناء الهيكل التي نظره من الباب الى الداخل فرأى في صدر المكان على نور القناديل الفضية والذهبية الموقدة فيه تمثال « جاكرينا » بشكل هرم ولا يد له ولا رجل لانه فقدما يوم اراد حمل العالم ليخلصه . . اما جاكرينا هذا فانه المخلوق الذي تجسد فيه برهما للمرة السابعة . وكان على قدمي التمثال كثيرون من الهنود جاثون امامه برهة وخشوع ووجوههم لاصقة بالارض وكلهم يستغفرون جاكرينا ويسالونه ان يرضى عنهم . وكان بعضهم ينذر ان يعلق نفسه من كتفيه وراء مركبته في يوم الاحتفال الذي يُحتفل به اكراماً لعيده وبعضهم ينذر ان يلقي بنفسه تحت عجلاتها ترضياً له

فقام في نفس الدكتور انفة واشتمزاز من تلك التدور والمناظر فصرف وجهه عنها وهم بالدخول الى الهيكل . فاعترضه برهمي شيخ كان يحرس الباب وساله عن الامر الذي جاء من اجله فابلقه الدكتور ذلك فقال له البرهمي انه لا يجوز له المثلول بين يدي « جاكرينا » او كاهنه الاعظم ما لم يغسل ثلاثاً في احد مغاسل الهيكل وينزع عنه كل ما كان عليه من اثر

الحيوان خصوصاً البقر والخنزير لان البراهمة يبدون الاول
و بكرهون الثاني

فاجابه الدكتور

« وما الحيلة اذا بالهدية التي جئت بها الى راس البراهمة
فان فيها بساطاً فارسياً مصنوعاً من شعر ماعز انقره ونسيجاً
من الحرير »

فاجابه البرهمي « ان كل ما يقدم الى هيكل جاكرينله
او الى كاهنه الاعظم يظهر من نفسه اذا كان نجساً »

فاضطر الدكتور الى خلع ملابسه وحذائه لان الملابس
مصنوعة من الصوف والحذاء من جلد الماعز ثم خلع قبعته لانها
مصنوعة من جلد كلب الماء وبعد ذلك اخذوه الى احد مغاسل
الهيكل فغسلوه فيه ثلاث مرات ثم جاءه البرهمي بغطاء قطني
كبير فالتف به وسار في اثر البرهمي الى باب القاعة الكبرى
التي هي مقام راس البراهمة

ولكنه لما وصل الى الباب رآه البرهمي يتأبط كتاباً
وهو السفر الذي يحتوي مسائل المجمع الملكي فساله عن المادة
التي صنع منها غلاف هذا الكتاب فاجاب الدكتور انه من

جلد العجل . فاستشاط البرهمي غيظًا وصاح بالدكتور
 « اما اخبرتك ان البقر من معبودات البراهمة فكيف
 تقدم على مقابلة كبيرهم وفي يدك كتاب مغلف بجلد معبوده
 يجب عليك الآن ان تغسل ثلاثًا ايضًا فانك اصبحت نجسًا
 بمتك هذا الجلد »

ولكن الدكتور كان من حسن الحظ حكيماً ومن يحسنون
 التخلص . فذهب الى ملابسه ثم عاد ووضع في يد البرهمي
 قطعاً من النقود فلزم البرهمي الصمت كأن المال ماء الكانج
 يطهر من كل رجس . ثم انه التي ذلك الكتاب في محمله وقال
 في نفسه : لست بحاجة الى هذا الكتاب اذ حسبي ان اسال
 عظيم البراهمة هذه المسائل الثلاث

— ما هو الطريق الى الحقيقة

— اين نجد الحقيقة

— هل يجب ان نقول الحقيقة للناس دائماً

قال ذلك ثم دخل في اثر البرهمي الى قاعة رئيس البراهمة
 وهو مكشوف الراس عاري القدمين لا يستر جسده الا الغطاء
 القطني الذي ذكرناه آنفاً

الفصل السادس

في قاعة راس البراهمة

ولما دخل الدكتور الانكليزي الى قاعة راس البراهمة
أخذ يتأمل في المكان فوجده قاعة متسعة سماؤها قائمة على اعمدة
ضخمة من خشب الصندل وارضها مفروشة بسط دقيقة طول
الواحدة منها سبعة اقدام في سبعة عرضاً . وكان في صدر
القاعة دكة عالية تحاطة بدرابزون من خشب الابنوس وفوق
الدكة راس البراهمة الجليل بلحية بيضاء وثلاثة خيوط فطنية
حسب عادة البراهمة . وكان جالساً على بساط اصفر اللون
وهو جامد كالصنم لا يتحرك منه عضو حتى عينيه وحوله تلامذته
بعضهم يطرد الذباب عنه بمذبات مصنوعة من اذنان الطاووس
وبعضهم يحرق عود الند في مجامر من الفضة والياقوت والبعض
يضربون على السنطير انغاماً شجية . وكان حول دكة الرئيس
صفوف من الزهاد والعلماء والذراويش في جملتهم بعض تلامذته
وكلهم باذرع مطوية على صدورهم مطرقون الى الارض هيبه
واجلالاً

فهم الدكتور بان يتقدم الى دكة راس البراهمة فيأمناً
 بواجب التحية والسلام فمنعه البرهمي من ذلك واوقفه عند
 البساط التاسع اذ لا يجوز لأكابر الهنود ان يتجاوزوا هذا
 الحد . اما الحكام فانهم يصلون الى البساط السادس والامراء
 ابناؤ الملك الى البساط الثالث . وليس لاحد شرف الوصول
 الى راس البراهمة لتقبيل قدميه تبركاً بذلك غير ملك
 الهند وحده .

فما حمق الانسان واجهله . من يصدق ان البشر يصل
 بعضهم الى هذا الترفع والتجبر وبعضهم الى هذا الخوف
 والدناءة

وكان الدكتور قد امر رجاله بان يضعوا عند مدخل
 القاعة الهدايا التي جاء بها الى رئيس البراهمة فاخذها البراهمة
 الى رئيسهم فالتى عليها الرئيس نظرة لا تدل على استهجان ولا
 استهجان ثم نقلوها الى داخل القصر

اما الدكتور فانه لما وقف عند البساط التاسع اراد ان
 يستهل كلامه بخطبة انيقة باللغة الهندية لانه كان يعرفها فاشار
 اليه البرهمي بالصمت حتى يخاطبه راس البراهمة فصمت وجلس

منضجراً من كل هذه الترتيبات المتعبة . ولكنه تسأى بان
قال في نفسه « يهون على كل تعب في سبيل الحقيقة
والبحث عنها »

الفصل السابع

القاء الاسئلة الثلاثة

ولما جلس الدكتور سكنت اصوات الموسيقى وساد سبغ في
القاعة سكوت تام فسأل جينثد راس البراهمة الدكتور
هذا السؤال

« ما جاء بك الى الهند »

غير ان الرئيس لم يخاطب الدكتور مباشرة بل القى هذا
السؤال الى درويش وهذا الدرويش القاه الى درويش ثانٍ
فالقاء هذا الثاني الى درويش ثالث وهذا اوصله الى
الدكتور

فاجاب الدكتور باللغة الهندية القصصى

انما جئت هيكل جاكرينا لاشاهد كاهنه الاعظم الذي
اشتهر بعلمه وحكمته واسنتيه في بعض المسائل العلمية والفلسفية

التي اعيانا حلها
 وكانت جميع الابصار حينئذ شاخصة الى الدكتور فلما اتم
 كلامه انتقلت الى راس البراهمة
 وبعد برهة سأل راس البراهمة الدكتور بالطريقة
 الاولى

قل ما هي المسائل التي ترغب في حلها
 فاجاب الدكتور على الفور . ان المسألة الاولى هي
 — ما الطريقة التي يتوصل بها الانسان الى معرفة
 الحقيقة

فتأمل الكاهن الاعظم برهة ثم اجاب
 ان الحقيقة لا تُعرف الا بواسطة البراهمة
 فانحنى جميع من في المجلس اعجاباً بحكمة رئيسهم العظيم
 اما الدكتور فسأه هذا الجواب لانه كان يتوقع جواباً
 احسن منه ولكنه كظم ما في نفسه وسأل السؤال
 الثاني وهو :

— اين نجد الحقيقة في هذا العالم
 فشخصت جميع الابصار الى فم الرئيس تنتظر جوابه

الباهر

فلم يلبث راس البراهمة ان اجاب
 ان الخالق وضع الحقائق كلها في الكتب الاربعة
 الهندية المقدسة . وقد كتبت هذه الكتب باللغة السنسكريتية
 منذ ١٢٠ الف سنة . ولا يقف احد على هذه الكتب ولا
 يفهم اسرارها الا البراهمة
 فدوت هنا القاعة من تصفيق الجالسين واخذتهم هزة .
 الطرب اعجاباً بهذا الجواب السديد
 اما الدكتور فلا تسل عن حنقه وغيظه . وانكته تجلد
 ليرى النهاية واجاب بشيء من النزق والحدة
 ان كان الخالق قد وضع الحقائق في كتب خصوصية لا
 يقف عليها الا البراهمة ولا يفهمها احد غيرهم فذلك يدل على
 ان الخالق يخفي الحقيقة عن الذين ليسوا ببراهمة ولم يسمعوا بهم
 قط فهو بالتالي يمنعهم من معرفتها وهذا ظلم محض
 فاجاب الرئيس . هكذا اراد برهما وليس للبشر الاعتراض
 على ارادته
 فازداد الحاضرون تحمساً وتصفيقاً

فسأله الدكتور عند ذلك سؤاله الثالث وهو
— هل يجب ان نقول الحقيقة للناس دائماً
فاجاب الرئيس

من الصواب احياناً ان نخفي الحقيقة عن جميع الناس .
ولكن لا يجوز البتة اخفاؤها عن البراهمة
فلم يتالك الدكتور ان استشاط عند ذلك غضباً فصاح
لماذا تنكره الناس على ان يقولوا الحقيقة للبراهمة اذا كان
البراهمة لا يقولونها لاحد ولا ينفعون بها احداً . الا يكون
ذلك ظلماً من البراهمة

ولكن ما لفظ الدكتور هذا الكلام حتى علت ضوضاء
الحاضرين . فانهم سمعوا الدكتور يعزو الظلم الى الله سبحانه
وتعالى فسكتوا عنه ولكنهم لم يسهكتوا عند نسبتة الظلم اليهم
فقام الزهاد والعلماء والدرائش والبراهمة والتلامذة قومة واحدة
لمناظرة الدكتور ومقاومته . فنهض حينئذ الرئيس وصدق بيديه
قائلاً بصوت مسمعه الجميع « ان البراهمة لا يناظرون علماء
الافرنج » ثم نزل من مكانه وخرج من القاعة
فازداد القوم بعد خروجه صراخاً وهياجاً وكادوا يؤذون

الد
الد
الى
ح



الدكتور يعرض على راس البراهمة وهواج البراهمة عليه
 الدكتور لولا معرفتهم بقوة الانكليز ونفوذهم بالهند • نخرج
 الدكتور من القاعة غاضباً منضجراً فقال له البرهمي الذي ادخله
 الى القاعة
 « لولم تغضب الكاهن الاعظم لقدم لك الشراب والطيب
 حسب العادة فلماذا اغضبتة »
 فاجاب الدكتور : بماذا اغضبتة ؟

فقال البرهمي اغضبتك باعتراضك على كلامه الا تعلم بانه
حكيم الهنود وعظيمها وان كل كلمة من كلماته حكمة باهرة لا تفهمها
العقول البشرية

فهز الدكتور راسه وخرج الى ثيابه وهو يقول : قد عرفت
ذلك الآن ولكن يا ضيعة التعب الذي عانيته في الوصول الى
هذا المكان

• ثم امرع الى ملابسه فنزع الغطاء القطني ولبسها وخرج
يطلب رجاله

الفصل الثامن

الزواجع الشديدة في الهند

وكانت الغيوم حينئذ متلبدة في السماء والجو ينذر بالمطر
والليل يرخي سدائله . فاستاذن الدكتور في المبيت في احدى
غرف الهيكل فلم يؤذن له لانه كان « افرنجياً » اي نجساً فطلب
ماء ليروي به ظمائه ناله من التخمس والهباج بخاؤه بابر يق فيه
ماء فشرب الدكتور منه ثم ناوله للبرهمي فالتقاه البرهمي على
الارض وكسره لانه صار نجساً من ثم « الافرنجي » فاستشاط

حينئذ الدكتور غضباً فسار الى هودجه وجلس فيه ثم امر رجاله
 بالمسير في الحال فعادوا به من حيث اتوا قرب هبوط الظلام
 وبينما كان الدكتور في هودجه فوق اكتافهم جعل يتأمل
 في المشاق التي عاناها للوصول الى هذا المكان وما كان من
 خيبة امله . واخذ يقول في نفسه : لقد صدق ما جاء في
 المثل الهندي « ان كل اوربي يقصد الهند يتعلم الصبر
 اذا كان غير صبور ويفقد صبره اذا كان صبوراً » فما انا قد
 عيل صبري . لقد تعبت في التفتيش عن الحقيقة سدى . فما
 هذا الشقاء البشري . اُفسي على الحقيقة ان تبقى مجهولة من
 الناس وعلى الناس ان يبقوا تائهين في وهاد الجهل والغباوة
 وفيما هو يتأمل في هذا الموضوع والليل قد ارخى سدائله
 هبّ بغتة اعصار شديد يسميه الهنود « طوفاناً » فكانت الرياح
 تهب من صوب البحر على مياه نهر الكانج فنقذتها على الجزائر
 التي عند مصبه ثم نشير من شواطئها الرمل والتراب وترفع من
 غاباتها اوراق الاشجار الى عنان السماء . وكانت الزوبعة تصدم
 الاشجار الضخمة المفروسة في جانبي الطريق فتعبت بها كما تعبت
 الرياح الخفيفة الاعنيادية بالاعشاب وتحطم اغصانها وتلقبها في

وسط الطريق . وفضلاً عن ذلك فان نهر الكانج اخذ بالفيضان بعد هبوب الزوبعة وصار المطر يهطل غزيراً . نخاف الدكتور ان تؤذيهم تلك الاشجار بالتوائها وانقصاف اغصانها وان يفرقهم نهر الكانج بفيضانه فامر رجاله بالخروج من الطريق والسيره في الحقول نحو الربي والآكام المجاورة . فسار رجال الدكتور به في الجهة التي اشار اليها ثلاث ساعات على غير هدي تحت جناح الظلام . وبينما هم في هذه الحال واذا بوميض برق شق كبد السماء وانار الافق فأوا على نوره الى يمينهم هيكلك جاكرينا وجزائر الكانج يتلوها بجزر عجاج متلاطم بالامواج وامامهم وادياً صغيراً بين اكتين وفيه حرش صغير قريب منهم . فاسرعوا الى هذا الحرش ليدخلوه فوجدوا نباتات وشجيرات تسد الطريق لالنفافها على اشجار الحرش . فتناول الفرسان سيوفهم وفتحوا بها طريقاً فدخل الجميع تحت الاشجار الضخمة وهم يحسبون انهم اصبحوا في مأمن من الفيضان والمطر والزوبعة . ولكنهم لم يتنفسوا الصعداء برهة حتى دهمتهم السيول من كل جانب تنصب في ذلك الوادي لان المطر كان غزيراً فعاودهم القلق والخوف وجعلوا يضربون اخماساً لاسداد .

وبعد برهة حانت من احدثهم الفأنة فابصر من خلال الاشجار
بصيص نور بعيد فامرع حامل المصباح الى مكان النور ليوقد
مصباحه . غير انه لم يغب بضع دقائق حتى عاد ركضاً وهو
يلهث ويصيح بكل قواه « ابعدوا ابعدوا ففي هذا المكان
خارجي »

الفصل التاسع

رجل بلا ذمة ولا دين

فامرع الدكتور وتناول مسدسه وهو يظن ان هنالك
وحشاً ضارياً ثم سال الرجل : « ما هذا الخارجى »
فاجاب الرجل وهو يلهث تعباً وخوقاً . « هو رجل بلا
ذمة ولا دين »

فقال رئيس الفرسان للدكتور « ان الخارجى هندي
من اذى الطوائف وشربعتنا تحلل لنا قتله اذا لمسنا . واذا
جالسناه حرمنا نعمة الدخول الى هيكل من هياكل الاقمار
التسعة ووجب علينا ان نظهر انفسنا بالاستحمام تسع مرات في
نهر الكانج وان يدهننا البrahمة ببول البقر تسع مرات من

الفرق الى القدم «

فصرخ جميع رجال الدكتور وكلهم من الهنود كما تقدم
« لا نجالس خارجياً ولا ندخل مكان خارجي »

فسال الدكتور حامل النور « ومن اين علمت ان الرجل
خارجي اي بلا ذمة ولا دين كما زعمت » فاجاب الرجل
« علمت ذلك من اني لما فتحت باب كوخه رايت جالساً بجانب
كلبه وهو يقدم الماء لامرأته في قرن البقر . ولا يخفى عليك
ان الكلب دنس والبقر من معبوداتنا »

فصاح الجميع مرة ثانية « تباً له فتحن نكره رؤيته »

فنظر اليهم الدكتور باسمياً ثم قال « افيموا انتم هنا ان
اردتم . اما انا فلا ينعني شيء من انقاء خطر الزوابع والسيول
فعندي جميع طوائف الهنود سواء »

قال ذلك ثم تأبط كتابه وكيساً وضع فيه امتعته ومسدسه
وغلبونه ثم تركهم وسار نحو مكان الخارجي مستهدياً ببصيص
النور المنبعث منه

الفصل العاشر

انسان عايش في الطبيعة عيشاً امناً من عيش المدن
وموارفي وافضل من اناسها

وما زال الدكتور سائراً في الظلام نحو النور حتى انتهى
الى كوخ قائم تحت شجرة عظيمة فدنا من الباب وقرعه قرعاً
لطيفاً . ففتح له الباب رجل لطيف الهيئة ولما نظر هذا الرجل
الدكتور تنحى عن الباب وقال بادب
« عفواً ياسيدي فانا خارجي لا استحق ان تشرف بيبي .
اما اذا كنت تطلب الاحتماء من الزوبعة فاهلاً بك
وسهلاً »

فدهش الدكتور من هذه اللجة واجابه باللغة الهندية التي
كان يعرفها كما تقدم

« شكراً لك يا اخي وانا اقبل دعوتك بابتهاج وسرور »
ثم دخل الدكتور الى الكوخ مستأنساً بالنور بعد الظلام
وبالاجتماع بعد الوحدة فرأى كل ما في داخل الكوخ بسيطاً
نظيفاً مرتباً وابصر في احدى زواياه امرأة خاشعة الطرف تهز



الخارجي يدخل الدكتور الى كوخه وهو الكوخ الهندي
الذي عليه مدار الكلام

بلطف سرير ولدها

اما الخارجي فانه ما دخل الدكتور الى بيته حتى خرج

فاحتمل حطباً كثيراً وتناول سلة ثمار من ثمار الموز والنارجيل
ثم خرج يفتش عن رجال الدكتور . ولما اهتدى اليهم وضع
الحطب والسلة بعيداً منهم وخاطبهم بلطف عن بعد قائلاً
« بما انكم لا تمتازون للدخول الى كوخي فاذنوا لي بان اقدم
لكم ما تسدون به حاجتكم فلا ريب انكم في جوع وان المطر
قد بلل ثيابكم فخذوا هذه ثمار مغلفة لم تمسها يد فاخرجوها واكلوا
منها وهذا حطب اخبرموه تجفيفاً لملا بسكم وابعاداً للنفورة عنكم .
وليكن الله حارساً لكم »

ثم عاد الخارجي الى الكوخ مسرعاً فمد بساطاً ووضع عليه
شيثاً من العنباة والبطاطس المشوية والموز المشوي وقدرًا من
الارز المطبوخ بالسكر وحليب النارجيل . ثم دعا الدكتور
الى هذا الطعام الطبيعي البسيط بقوله

« لا بد انك علمت باسيدي انني خارجي لا استحق ان
ادنو من احد او ان يدنو مني احد غير اني ارى في ملاسك
ما يدلني على انك لست هندياً فاذا رايت ان تمتاز الى
تناول ما اعده لك خادمك الحقير اوليتني نعمة وجميلاً »
فاثرت هذه اللهجة في نفس الدكتور احسن تاثير فنهض

الى بساط السعام مسروراً . واما الخارجي فنحنى مع امراته
وولده في احدى زوايا الكوخ . فساء ذلك الدكتور والنفث
اليه قائلاً

” لماذا لم تجلس معي على الطعام . انت افضل مني ايها
الرجل لاني رايتك تحسن الى من يسي اليك (يعني بذلك
تقديمه الطعام والحطب الى رجاله) فاذا لم تجالسني على هذا الطعام
حسبت انك تظنني شريراً مثل اولئك الرجال وحينئذ اترك
الكوخ عائداً من حيث اتيت ولو اغرقني السيل واكتنتني
الوحوش “

فنهض الخارجي وجلس بجانب الدكتور واخذ ياكل معه
فاكل الدكتور مسروراً لانه وجد ملجأ من الزوبعة والمطر .
وكان الكوخ مبنياً في اضيق مكان في الوادي تحت دوحه من
التين الهندي وهي شجرة ضخمة ذات ورق كثيف عريض
لا ينفذه ماء المطر . وكانت الزوبعة سبغ في الخارج نزر زئبراً
شديداً تمازجه صعقات رعد هائلة والريح تهب هبوباً شديداً
يكاد يقتلع الاشجار من اصولها ومع ذلك فقد كان كل ما في
داخل الكوخ هادئاً ساكناً حتى نور السراج ودخانه

فراق الدكتور هذا السكون السائد حول الهدي وامراته
وسط هياج الطبيعة وعناصرها . وكانت المرأة جالسة قريباً من
سرير ولدها تهز سريره بقدمها وتصنع له بيديها طوقاً من الزهر
لتزيينه به . وكان الرجل ينظر اليها والى ولده الحين بعد الحين
بعين طالحة حبا وحنواً وعلى وجهه لوائح الدعة والبساطة وفراغ
البال وراحة الضمير . فكان كل ما في ذلك الكوخ المنفرد
في البرية وسط الطبيعة الثائرة الهاججة كان مستريحاً هادئاً حتى
كلب الكوخ وهره اللذين كانا نائمين بجانب موقد النار الواحد
بقرب الاخر . وكان الكلب يفتح من حين الى حين عينيه
ويتنهد كما وقع نظره على سيده

الفصل الحادي عشر

بعد الطعام الكلام

ولما فرغ الدكتور من تناول الطعام اتاه الهندي بنار
لاشعال غليونه و اشار الى امراته فجاءت بسلتين من النارجيل
واناء مملوءة شراباً مصنوعاً من الماء والعرق وعصير الليمون الحامض
وماء قصب السكر فتناول الدكتور شيئاً منه ثم جلسا للحديث
فقال الدكتور

” لقد اعجبني ايها الاخ عيشك البسيط في هذه الارض
القفراء وسط هذه الغابة الكثيفة . وكأني اقرأ على جبينك ما
انت فيه من خلو البال وراحة الضمير . غير اني اسالك الاتخاف
الزوابع والصواعق في هذا المكان المنفرد فان كوخك لا يقيه
منها غير هذه الشجرة والاشجار تجتذب الصواعق كما تعلم “
فاجاب الهندي : ان الصاعقة لا تقع البتة على شجرة
التين الهندي

فقال الدكتور مسغرباً ” هذا امر كنت اجهله واني اشكر
على هذه الفائدة ولكن ما السبب في ذلك هل ان لشجرة التين

الهندي كهربائية سلبية كشجرة الغار «

فقال الهندي « لا افهم معنى كلامك ياسيدي . وانما امراتي تقول ان السبب في ذلك ان برهما تقياً ظلها يوماً من الايام تخصها بهذه المزية . واما انا فاني ارى ان الخالق الذي خصها بورق كبير غليظ لا ينفذه المطر وقاية للبشر الذين يلجئون تحتها في هذه الاقطار الشديدة الامطار راي ان يتم نعمته عليهم تخصها بمزية الوقاية من الصواعق كما خصها بمزية الوقاية من المطر »

فقال الدكتور معجباً بقول الهندي « ما اسمي كلامك واعظم ثقتك بالعناية الالهية . وكأني عمت من جوابك امرأ كنت اجهله وهو ان ثقتك بالله هي التي جعلتك مستريح الخاطر ناعم البال في هذه الوحدة . فقل لي ما هو مذهبك فقد راجعت في كتاب معي اسماء جميع طوائف الهنود فلم اجد فيه ذكراً لطائفة « الخارجيين » فمن اية طائفة انت . واين وطنك . وفي اي اقليم معبدك

فاجاب الهندي بشيء من الرزانة :

« وطني هذا العالم النسيح . ومعبدي هذه الطبيعة الواسعة .

فاني كلما اشرفت الشمس وقتت امامها في وسط الطبيعة اسبح خالقها . وكما غربت شيعتها بنظري وحمدت الله عداد النعم التي منحني اياها . ولا هم لي في معيشتي هذه غير خدمة امراتي وولدي والعناية بكل ما هو لي حتى كلبتي وهري . وانا كما تراني مسرور بمعيشتي في وسط الطبيعة سرور الولد في حضن امه او العصفور في عشه . ومتى حان اجلي غداً استقبلت الموت باسمياً لاني لا احسبه شراً ولا المأ وانما انتظره الآن كما انتظر نوماً لطيفاً في آخر النهار»

فاخذ العجب من الدكتور كل ماخذ لهذا الجواب البديع
فسأل الهندي :

واي كتاب ارشدك الى هذه المبادئ الجميلة
فاجاب الهندي « كتاب الطبيعة ياسيدي »
فقال الدكتور « لا ريب انه كتاب عظيم ولكن من
عملك القراءة في هذا الكتاب »

فاجاب الهندي « المصائب ياسيدي . فاني ولدت في
طائفة يسميها المنود « خارجية » لانهم يعتبرونها خارجة عن
طوائفهم المعروفة ولذلك يقولون انها نجسة رجسة ولا يقربونها .

فلما شبيت وجدت نفسي عاجزاً عن ان اكون هندياً دينياً
 ووطنياً فعزمت على ان اكون انساناً فاجأت الى الطبيعة لاعيش
 فيها حراً مستقلاً بعيداً عن ظلم اخواني بني الانسان «
 فقال الدكتور « وما هي الكتب التي تستعين بها على
 صرف وقتك في هذه الوحدة «

فاجاب الهندي باسمياً « اني لا اعرف القراءة ولا الكتابة
 ياسيدي «

فهز حينئذ الدكتور راسه وقال له « انك كفيت نفسك
 شكوكاً كثيرة . اما انا فاني مرسل من انكلترا لجمع الكتب
 والاوراق بحثاً عن الحقائق وسعياً وراء ما يرفع شان البشر
 ويزيد راحتهم . وقد عانيت في هذا السبيل كثيراً من
 المشاق والاعتاب وفي اعتقادي ان تعبي قد ذهب سدى لانني
 بعد ما وجدته من اختلاف البشر صرت ارى السعي وراء
 الحقيقة عبثاً وهو ابل حماقة وجنوناً اذ هب اننا وجدنا الحقيقة
 التي نفتش عنها فمن يقبلها ويسمعها دون ان ينقلب بالسخط
 علينا «

فاجاب الهندي « اني وان كنت على ما تعلم من الجهل

ياسيدي الا انني استاذنك في ابداء رأبي . افي اعتقد ان
الانسان محتاج الى معرفة الحقيقة لذاتها لا لامر آخر اذ على
الحقيقة يتوقف هنا الانسان وسعادته وبدونها لا يكون الانسان
الا وحشاً طمأعاً جاهلاً فاسد الاخلاق متعلقاً بالاوهام والترهات
تبعاً لاغراض الذين يتولون تربيته . فالبحث عن الحقيقة من
واجبات الانسان ومعرفة حق له «

الفصل الثاني عشر

خارجي اعظم من راس البراهمة
جواب الاستئلة الثلاثة

وكان الدكتور لا يزال يفتكر في المسائل الثلاث التي
القاهها على راس البراهمة فلما راس اجوبة الهندي السديدة
واراءه الصائبة خطر له ان يلقيا عليه ايضاً ليري رايه فيها
فقال له

« قلت ان الانسان محتاج الى معرفة الحقيقة لذاتها لا
لامر آخر وانه يكون بدونها وحشاً لا انساناً فهل لك ان تدلني
على الطريق الموصلة الى الحقيقة . ولا نقل ان الحواس هي

الطريق اليها فان الحواس تكذب وتخدع . ولا نقل العقل فاني لا ارى العقل الا صورة المصالح الشخصية ولذلك ترى هذا الخلاف العظيم بين البشر . انظر الى العالم هل ترى فيه امتين بل قبيلتين بل طائفتين بل عيلتين بل رجلين بافكار واحدة . فان لم يكن العقل هو الطريق الى الحقيقة فما هي الطريق اذا »

- فاجاب الهندي " ان العقل يخدعنا دائماً كما ذكرت ولذلك لا يصح ان يكون الطريق الى الحقيقة وانما الطريق الى الحقيقة والمرشد الامين اليها هو القلب البسيط السليم " فاجاب الدكتور " قد تكون مصيباً في قولك ايها الاخ وكأني فهمت الآن من كلمتك هذه سبب اختلاف افكار الناس وتباين آرائهم . فهم ينفقون شعوراً ولكنهم يختلفون حكماً . فان مبادئ الحقيقة تدخل الى نفوسهم فيشعرون بها جميعاً ولكن كل واحد منهم يستنتج ويحكم طبقاً لمصلحته وهواه . فالفضل هنا هو العقل لا القلب . فاذا كان القلب بسيطاً نقياً سليماً كما ذكرت شعر بالحقيقة وحكم بما تلميه عليه دون ان يؤثر فيه مؤثر سواها . اليس هذا معنى كلامك

فقال الهندي . لقد شرحتَ فكري شرحاً لا اقدر عليه .
ولكنني اشبه تشبيهاً يعرب عما في ضميري . ان الحقيقة كندی
السماء . ولا يبقى الندى تقياً الا اذا وضع في اناه نقي .
فصاح الدكتور مدهوشاً « احسنت احسنت . نعم ان
الحقيقة كندی السماء ولذلك فهي لا تبقى تقية الا اذا حفظت
في قلب نقي . ولكن قل لي اين نجد الحقيقة . افي مكاتب
العلم ام في صدور الناس . لقد طفت في سياحتي بلاداً
كثيرة ونقت في كثير من المكاتب وناظرت كثيرين من
العلماء فلم اجد ايان سرت وحيثما حللت سوى آراء متناقضة
ومذاهب مختلفة وشكوك واوهام . فاذا كانت الحقيقة لا توجد
في مكاتب العلم وصدور الناس ف اين نجدها اذا »
فاجاب الهندي « لو كنا لا نصل الى الحقيقة الا بواسطة
البشر لارتبنا فيها واسبأنا الظن بها . فدع الناس وشانهم اذا
اردت البحث عن الحقيقة ولا تفقش عنها في اقوالهم واعمالهم
فان اقوالهم واعمالهم تزيدك تيهاً وضلالاً . وانما فقش عن
الحقيقة في الطبيعة . وكل من يبحث عنها خارج الطبيعة
يضل سبيلاً . فان الطبيعة مصدر كل ما في الكون كما ان الله

مصدر كل ما في الطبيعة . ولغة الطبيعة لطيفة بسيطة تفهمها
 ابسط العقول فضلاً عن كونها ثابتة ابدية لا يطرأ عليها تغيير
 او تبديل . واما لغة البشر فانت ادري بما فيها من الابهام
 والغموض وما يطرأ عليها من الانقلاب «

فقال الدكتور « يؤخذ من قولك ان الطبيعة مصدر
 الحقائق كلها . وهو قول يصح في الحقائق الطبيعية ولكنه
 لا يصح في الحقائق التاريخية . كيف الوصول الى معرفة ما
 حدث منذ الف او التي سنة دون الاستعانة بالكتب . فان
 قلت بالنقل والتواتر اجبتك ان الانسان انسان في كل زمان
 ومكان فمن يركن الى قوله وينزله منزلة الحقيقة الثابتة التي
 لا تنقض فقد ركن الى الجهل والضعف والتشيع والتحريف
 والنسيان . فلا غنى لنا اذا عن الكتب اثباتاً للحقائق
 التاريخية «

فضحك الهندي وقال « ولكن من كتب هذه الكتب .
 اليس الانسان . ومع ذلك فاية حاجة بنا الى التاريخ وكتبه
 واي تاثير للتاريخ في سعادتنا على هذه الارض . بل اية علاقة
 بين السعادة وذكر حوادث مضت وايام خلت . ان تاريخ ما

كان لهو تاريخ ما هو كائن وما سيكون .
 فاجاب الدكتور متعجباً . لقد سميت بهذا الرأي . يجب
 ان نبحث عن الحقيقة في الطبيعة وان لا نعبأ بما هو خارج عنها
 اذ لا علاقة له بسعادتنا . ولكن ما الوسطة التي ندرك بها
 هذه الحقيقة اعني دليلنا الذي نتوصل به اليها . انا نرى
 الحيوانات في الطبيعة في حرب مستمرة فهي تقتتل وتاكل بعضها
 بعضاً . فهل يجب ان يصنع الانسان بالانسان ما يصنعه الحيوان
 بالحيوان .

فاجاب الهندي . كلا ثم كلا . لان في قلب الانسان
 اساساً طبيعياً لحقوقه وواجباته وقد وضع الخالق هذا الاساس
 في داخل النوع البشري كما توضع المنائر على شواطئ البحار
 لهداية السفن . وهذا الاساس هو هذه القاعدة البسيطة . اصنع
 بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك : هذا هو دليل الانسان
 وقاعدة واجباته .

فازداد الدكتور دهشة لاصالة راي الهندي ثم ذكر اجوبة
 رئيس البراهمة وقابلها باجوبة الهندي فعرف من هذه المقابلة
 كيف تحط الاوهام العقول وكيف يرفعها الانطلاق من

اسر الاوهام

ثم ان الدكتور قال للخارجى . انى اسلم بصحة ارائك فيما
يختص بالحقائق الادبية ولكن ما قولك فى الحقائق الدينية
والطريق اليها . ان العالم مملوء بالاديان المختلفة والمذاهب
المتباينة التي تفرق الشعوب وتقسّم الامم فكيف الوصول الى
الحقيقة في وسط تلك المذاهب والاديان المختلفة .

فاجاب الهندي . قلت لك فتش عن الحقيقة في الطبيعة
دون سواها . فاذا رمت الحقيقة الدينية فلا تخرج عن هذه
القاعدة . انظر الى الطبيعة بقلب بسيط نقي تجد روح الله
مرفرفاً على وجهها وتقرأ آيات قدرته وحكمته في صفحاتها .
اما الخلاف في المذاهب والاديان فاضرب عنه صفحاً فان
لدى البشر من المصائب والجهل والشقاء ما يجب ان يشغلهم
بحب الله تعالى وعبادته عن البحث فيه والمناظرة في
شؤونه

فلم يتالك الدكتور ان صاح ملء فمه . احسنت احسنت
ولا سد فوك . وليت المشتغلين بتقسيم البشر وتفريقهم لسمعون
هذا الكلام . بقي لي الآن سؤال واحد وهو هل اذا وجد

الانسان الحقيقة يجب عليه ان يُطلع الناس عليها فاننا كثيراً
ما راينا البشر يضطهدون من يقول لهم الحق . فما رايتك
في هذا .

فاجاب الهندي . لا ارى من الواجب ان تقول الحقيقة
للاشرار والاردياء الذين يكرهونها ولكن واجب نحتوم ان
نقولها للصالحين والعقلاء الذين يحبونها . ومثل الشرير والحقيقة
مثل تمساح ولؤلؤة . فانك اذا القيت لؤلؤة الى التمساح انقضت
عليها لسحقها باسنانه لا ليزين بها اذنه اذ لا اذن له . ولما
يعجز عن كسرها يلقها وينقض عليك ملتهاً حقداً وغضباً .
فراق الدكتور هذا التشبيه الجميل فقال معجباً . سمعت
برايتك هذا ايضاً ولكن لي عليك اعتراض . وهو انه يؤخذ من
كلامك ان الناس الاشرار يضطهدون كل من يجب الحق
ويقوله لهم . فمن يجترى . والحالة هذه على التصريح بالحقيقة
وتعليمهم اياها اذا كان نصيبه الاضطهاد والعدوان .

فاجاب الهندي . للبشر مدرسة عليا تعلمهم الحقيقة وتسمعهم
صوتها اذا سكنت اصوات الناس عن النداء بها . وهذه
المدرسة هي : مصائب الحياة .

فقال الدكتور معترضاً « اما في هذا فلست من رأيك ايها
الرجل الفاضل لاني اعتقد ان المصائب تحط قوي النفس وتزيد
شقاء الانسان . وكما ازداد الانسان شقاءً ازداد تلوثاً بجحمة
النعمة والدناءة . فما نقول في هذا »

فاجاب الهندي « ان قولك هذا يصدق على الانسان
اذا لم يبلغ اقصى درجات المصائب في هذه الحياة . اما الذين
يصلون الى قمة المصائب فان غشاءً كثيفاً يسقط عن عيونهم
فيرون الحقيقة مجردة من كل شيء . ومثل المصائب مثل الجبل
الشانخ الوعر . فانك لتعب في صعوده ولا تجد في وجهك الا
حجارة وشوكاً ولكنك متى بلغت قمة هذا الجبل ابصرت منظرًا
طبيعياً جميلاً : السماء فوق رأسك والارض بمنظرها الطبيعية
الرائقة منبسطة تحت قدميك »

فصاح الدكتور مدهوشاً

« ما اجمل هذا التشبيه واصح هذا الكلام . اجل ان
المصائب كالجبل الذي ذكرته وكل واحد منا امامه جبل يجب
عليه ان يصعده . اما جبلك انت ايها الرجل الفاضل فيلوح لي
انه كان شاهقاً جداً لاني اراك افضل من جميع البشر الذين

عرفتهم ولعل ذلك لانك كنت اتعسهم . فقبل ان اسألك
ان تقص علي شيئاً من تاريخ حياتك ارجو ان تذكر لي السبب
الذي من اجله صارت طائفتكم مذلولة مضطهدة

الفصل الثالث عشر

سبب اضطهاد البراهمة الخارجيين

فقال الخارجي

ان السبب في ذلك زعم البراهمة انهم خرجوا من راس
برهما وان الخارجيين خرجوا من رجليه . ويزيدون على ذلك
قولهم ان برهما طلب مرة في مدة سياحته على الارض من رجل
خارجي شيئاً لياكل فقدّم له الخارجي لحمًا بشرياً فمئذ هذا
الحين بدأ تاريخ ذلنا واضطهادنا وحظر علينا دخول المدن
واييح دمنا لكل من ندنو منه

فقال الدكتور مستغرباً

يا للحماقة والاستبداد كيف استطاع البراهمة حمل اخوانكم
الهنود على بغضكم واضطهادكم واقناعهم بصحة ذلك الاختلاق

فاجاب الهندى . بتعليمهم ذلك منذ الصغر كما تعلم البيغاء

الكلام

فقال الدكتور . وماذا صنعت انت للخروج من هذه
الماوية هاوية النعصب والجهل التي القاك البراهمة فيها . انى
لا اعرف شيئاً في العالم اشد ايلاماً للانسان من جعله منحطاً
في عيني نفسه وهذا بمثابة حرمانه اعظم تعزية له لان اعظم
تعزية للانسان في العالم انما هي حسن ظنه بنفسه

فاجاب الخارجى

سالت نفسي اولاً عن صحة الرواية التي يروونها عن
برهما فما رايت احداً يرويها غير البراهمة . ثم نظرت فرايت
للبراهمة مصلحة في هذه الرواية فانهم ما زعموا ان خارجياً
اهان برهما وقدم له لحمًا بشرياً الا انتقاماً من الخارجيين الذين
لا يعتقدون بقداسة البراهمة والوهية مصدرهم . ثم قلت في نفسي :
هب هذه الرواية صحيحة فالله عادل ولا يشاء ان تؤخذ طائفة
كبيرة بجريرة واحد منها خصوصاً اذا لم يكن للطائفة يد في
تلك الجريرة . وهب انه كان لطائفة الخارجيين يد في هذه
الجريرة فاي ذنب لابنائهم وابناء ابنائهم . هل ان الله يسمح

ان يؤخذ الالباء بجرائم الابناء قبل ولادتهم فكيف اذا يصح ان
 يقال انه يسمح بان يؤخذ الابناء بجرائم الآباء والاجداد .
 ولنسلم بان العدالة تقضي بان احمل انا تبعمة الخطيئة التي ارتكبتها
 رجل غيري افما آن ان تحسب حياتي وحياة اجدادي التبعية
 كفارة عن الذنب الذي عزي الي . ولقد مر على الطائفة
 الخارجية الوف من السنين ولا تزال ترزق حتى الان فلو كان
 الله ساخطا عليها افكان يبي لها الحياة كل هذه المدة . وهل
 يمكن بقاء شخص او شيء وقع عليه غضب الله . كلا . ولو
 كنت من المغضوب عليهم لما انبت لي الارض نباتا ولما نما
 شيء مما تزرعه بداي . ثم قلت لنفترض هذا وذاك فاني ارى
 الله مع سخطه علي يغفرني بنعمه ويحسن الي . افلا يجب ان
 اتشبه انا بذلك واحسن بما في امكاني الى اولئك الذين كان
 يجب ان ابغضهم وامقتهم

الفصل الرابع عشر

معيشة انسان خارج المهينة
الاجتماعية

فقال الدكتور . وكيف كنت تحصل حاجاتك وتقوم باود
معيشتك بعد ان لفظتك المهينة الاجتماعية من وسطها
فقال الخارجي

« بعد ان خرجت من المهينة الاجتماعية قلت في نفسي : بما
ان جميع البشر يضطهدونك ويتخلون عنك فاسع انت بنفسك
لنفسك . ان مصابك وان كان كبيراً فانه ليس فوق وسعك
وطاقتك . والمطر معها كان غزيراً فانه لا يقع على العصفور الا
نقطة نقطة . فقصدت الغابات وضافت الانهار لعل اعثر فيها
على قوت اسد به رمقي . فما كنت اجد الا بضع ثمار برية
فضلاً عن تعرضي للوحوش الضاربة . فعرفت حينئذ ان
الطبيعة لم تخلق الانسان ليعيش منفرداً وتحقق اني مرتبط
ارتباطاً مكيناً بهذه الجمعية البشرية التي تلفظني من وسطها .
فتركت الغابات والانهار وقصدت الحقول وهي كثيرة عندنا

فكنت اجد فيها شيئاً من الحبوب مما يبقى على اثر الحصاد
فصرفت مدة في التطواف من اقليم الى اقليم وانا اتبلغ بما كنت
اجده من بقايا الزراعة في هذه الحقول . وكما كان يفضل عني
شيء من الحَب كنت ابذره في الارض قائلاً : اذا لم انتفع
به بعد نبتة وبلوغه فسينتفع به سواي . فكنت اشعر بشيء من
الراحة وبتناقض تعاسي كما رايت نفسي قادراً على صنع شيء
من الخير

« وكانت نفسي تحدثني بدخول المدن لمشاهدتها ورؤية
عظمتها لانني لم اكن شاهدت مدينة قط وانما كنت اشاهد
من بعيد بعين الدهشة والعجب اسوارها الضخمة وابراجها
الشاهقة وقيام السفن والقوارب مصطفة على شواطئ انهارها
وازدحام العربات المشحونة بضائع متنوعة في طرفاتها وحركات
جنود الحرب الذين كانوا يتوافدون من اقصى الاقاليم لحراسة
المملكة وحفظ الراحة العمومية ووفود سفراء الدول الذين كانوا
ياتون بعظمة وابهة من الممالك الاجنبية تايداً للسلم والاتحاد .
وكنت كما رايت في ظريقي بعض هولاء الوفود اقرب منهم
بقدر ما يجوز لي واتامل بدهشة فيهم وفي الغبار الذي كان

يشور وراءهم . وكما ذكرت المدينة التي كانوا سائرين نحوها
كنت اجد في نفسي شوقاً عظيماً اليها واسمع لها من بعيد هديرًا
عميقًا كاصوات تكسر الامواج على الصخور . فكنت اقول في
نفسي : ان جمهوراً غفيراً يجتمع في بقعة واحدة ليتعاون
ويتقاسم اشغاله وحاجاته كأنه عيلة واحدة لجدير بان يكون
سعيداً هنيئ العيش . فكانت لذلك تشتد رغبتني في مشاهدة
احدى المدن . وقد كنت في ذات يوم امام مدينة « دلهي »



الخارجي بدهوشاً امام المدينة

بينما كانت هذه الافكار تجول في خاطري فقلت في نفسي ما الذي يمنعني من الدخول الى هذه المدينة في الليل اذا كنت لا استطيع دخولها في النهار . ان للغار اعداء كثيرة ومع ذلك فانه يخرج من وكره في الليل مقتنعاً بنور النجوم ومستهدياً بها . ثم اشتدت عليّ هذه الافكار فعزمت على الدخول تحت جناح الظلام الى تلك المدينة .

الفصل الخامس عشر

رجل لم يدخل مدينة قط
ووصفه شرورها

« فانتظرت حتى ارخى الليل سدائله الكثيفة ثم فصلتها ودخلت اليها من باب لاهور فشاهدت في اول شارع مررت فيه ابنية شاهقة قائمة على فناطر فيها حوانيت الباعة والتجار . ثم رايت كثيراً من الفنادق مغلقة الابواب واسواقاً واسعة يسود فيها سكوت عميق . فاجتزتها واوغلت في داخل المدينة فوجدت نفسي على مقربة من حي الاعيان وكله قصور وحدائق قائمة على ضفت نهر دجنا . وكانت تخرج من هذه القصور

رنات الآلات الموسيقية واصوات غناء النساء وعزفهن الشجي
على ضفة النهر . فنقدمت من احدى الحدائق لانتفع بلذة
النظر والسمع هنيهة فطردوني بالسياط عن الباب مع كل
الصعاليك الذين كانوا وقوفاً عليه . وبينما كنت عائداً
من حي الاعيان مررت ببعض المعابد الهندية فرأيت فيها
جماهير من البشر جاثين برعدة ورهبة والزفرات تتصاعد من
صدورهم والدموع تجري من عيونهم . فهالني هذا المشهد المريع .
فأسرعت فراراً من رؤية آثار الشقاء والاهام . ثم مررت
بمنازل الاورييين وحولها الحراس بصرخون دائماً : « كبردار »
اي احذروا لانفسكم . فسرت في طريقي فوصلت الى بناء
شاهق علمت انه مسجد من سماعي جلبة القيود فيه واصوات
التنهد والزفير الخارجة منه . وبعد ذلك سمعت صراخاً ونداءً
متألماً خارجاً من بناء آخر ونلا ذلك خروج مركبة مشحونة
جثثاً بشرية فعلت انه مستشفى . وفيما انا سائر كنت ارى
هنا لوصاً هاربين والشرطة في اثرهم . وهناك جماهير من
الفقراء يلتمسون على ابواب الاغنياء فضلات الموائد والمآدب
ولا يثنيهم عن طلبها الضرب والاهانة . وهناك نساء يعرن

شرفهن ليا كلن بثنه خبزاً . وما زلت اواصل السير حتى
انتهيت الى القصر العظيم الذي يسكنه سلطان الهند
الكبير

« فرأيت هذا القصر قائماً في وسط ساحة فسيحة الارجاج
ضربت فيها خيام لفرق عديدة من الجنود والحراس . وكانت
هذه الفرق يمتاز بعضها عن بعض بمشاعل واعلام وعصي طويلة
في رؤوسها اذنان بقر ثيبية . وكان القصر محاطاً من كل
الجهات بمخندق عريض تغمره المياه وعلى جانبيه المدافع صفوفاً .
فلبثت بازائه اقلب طرفي في ابراج حصونه الشاهقة التي كانت
كانها تنطح السحاب واسواره الطويلة التي كانت لطول
امتدادها لا يدرك الطرف آخرها . فاخذتني الرغبة في الدنو
منها والدخول اليها ولكن السياط التي كانت معلقة في احد
الجدران ازاله هذه الرغبة من نفسي . فوقفت بعيداً في
احدي الزوايا بين جماعة من الزوج الارقاء كانوا يصطلون
على نار اوقدوها واذنوا لي بالوقوف بينهم . فمن هناك اخذت
اتامل بدهشة وتعجب نخامة القصر الملكي وصرت اقول في نفسي:
هنا يقيم الانسان الذي هو اسعد بني الانسان . هنا يقيم من

يزعمون طاعته فرضاً من فروض الايمان . هنا يسكن من
 يأتي السفراء لتمجيده من اقصي البلدان . هنا منزل من في
 جوفه تُفرغ اموال الاوطان . هنا منزل من لذاته تجري المراكب
 في البحار . ومن حرصاً على حياته يحمل السلاح الوف من
 البشر ويحرسون منزله وهم سكون في الليل والنهار
 وبينما كنت مشتغلاً بهذه التاملات واذا باصوات التهليل
 والابتهاج قد علت من كل جهة . فالتفت فرايت ثمانية جمال
 مزينة وهي تنو تحت حملها الثقيل . فسألت ما محمودها فقيل
 رؤوس العصاة يبعث بها الى جلالتهم قادة الجيش من اقليم ديبكان
 حيث يضرم احد ابناء السلطان نار الحرب والعصيان على والده
 منذ ثلاث سنوات . ولم تنقض فترة من الوقت حتى رايت
 فارساً على جواد ينهب الارض نهباً وهو يقصد القصر فسالت عنه
 فقيل لي انه رسول منفذ لبياغ السلطان خيانة احد قواده
 الذي سلم سلطان الفرس احدى المدن الهندية التي على الحدود .
 ولم يكذب هذا الفارس حتى تلاه فارس آخر منفذ من والي
 بنغال لبياغ السلطان ان الاوربيين الذين منحهم السلطان حق
 انشاء المكاتب التجارية قد بنوا قلعة على ضفة نهر الكانج وامتلكوا

طريق السفر فيه . وبعد بضع دقائق خرج من القصر ضابط
في مقدمة شردمة من الجنود وقد عهد السلطان اليه ان يقبض
على ثلاثة من اعيان الهنود وزجهم في السجن لاتهمهم بالاشترك
في المؤامرة مع اعداء السلطنة . وقد كان بالامس امر بسجن
احد العلماء المسلمين لانه اثني على سلطان الفرس وقال ان
امبراطور الهند كافر لانه يشرب الخمر . ويؤكد بعضهم انه امر
بخنق احدى نسائه والقائها في لجة نهر دجنا مع اثنين من
ضباط حرسه لاتهمهم بان لم ضلعا مع ولده الذي خرج عليه .
وبينما كنت اتأمل هذه الحوادث وتفاصيلها واذا بعمود من النار
قد ارتفع بغتة من مطابخ القصر الى السماء فاضاء حصون القصر
والخندق والمكان وكل ما حوله من الابنية . ثم تلا عمود النار
دخان كثيف قائم صعد الى العنان واختلط بالسحاب . فدوت
عند ذلك في القصر صنوج الحزن دويًا مخيفًا وانتشرت الجنود
قرب القصر يحطمون الابواب ويدفعون الناس بالسياط الى
النار ليخمدوها . وكان حول القصر عدة من القبيلة فلما احست
بجسارة النار ثارت وهجمت نحو الجمهور وجعلت تدفعهم بخراطينها
عن القصر بينما كانت الجنود تدفعهم اليه بسياطها . فاصابني من

الجانبين المثلثت منه مبلغ الألم الذي بصيب صغار الناس عند
 دنوهم من الكبار . أجل ان الكبار كالنار تحرق كل شيء حتى
 اليد التي تلقي فيها بخوراً متى دنت منها كثيراً . فحاولت
 الخروج من ذلك المكان فراراً من الألم فلم استطع ذلك الا
 بشق النفس وبعناية من الله . ولما تمكنت من الفرار ابتعدت
 ركضاً حتى انتهيت الى الكواخ حقيرة فلنفس الصعداء ووقفت
 هناك اقول : لقد نلت ما تمنيت وشاهدت احدي المدن .
 لقد شاهدت مراكز اولئك الذين يسمون انفسهم رؤساء
 الشعوب مع انهم عبيد لرؤساء كثيرين . أجل انهم
 عبيد شهواتهم واطماعهم واهامهم وبخلهم . انهم يخافون
 حتى في نومهم من اولئك الاشقياء المحيطين بهم
 واللصوص والشحاذين والفواسق ومضربي النار حتى
 جندهم وعملتهم واعيانهم وكهانهم . فاذا كانت هذه هي
 حالة المدينة في الليل فكيف بها في النهار ؟ . ان عناء الانسان
 يزداد بازدياد امانه وحاجاته فما اشد عناء الملك اذا لانها
 كثيرة امانه وحاجاته . فهو يرتجف دائماً من الحروب
 الداخلية والخارجية ومن قواده وحرسه وكهنته ونسائه واولاده .

ومهما كانت حصونه حصينة وخنادقها واسعة فانها لا تمنع اشباح
الوهم من الوصول اليه ولا الاحزان من النفوذ الى نفسه . اما
انا فانتني لا اخاف شيئاً وليس لظالم سلطان على نفسي ولا على
جسدي . بل انني حرٌّ اعبد الله بحسب الطريقة التي يرسمها
ضميري ولا اخاف احداً من البشر ولا يقدر احد ان يعذبني
اذا لم اعذب انا نفسي . فلا ريب في انني انا « الخارجى »
المضطهد المذلول اقل شقاءً وتعاسة من الملك

« ولما قلتُ هذا خررت ساجداً على الارض وشكرت الله
الذي اراني مصائب اعظم من مصائبي ليجمعني احتمل حياتي
ويعلمني القناعة والرضى والتسليم

« ومنذ هذا الحين صرت اجتنب داخل المدينة ولا اقرب
الا اطرافها . فكنت آتيها كلما جنَّ الليل واجول في اسواقها
اخالية وشوارعها المقفرة فيخيل لي في هدوء الليل وسكونه انه
ليس في المدينة حيٌّ سواي وانني ربُّ تلك المدينة العظيمة .
غير انني لم اكن اجد في تلك المدينة التي كنت احسبها ملكاً
لي شيئاً امسك به رمقي فتركت الاحياء لما لم اجد فيهم مساعداً
وصديقاً ولجأت الى الاموات . فكنت اذهب الى المدافن

واتغذى بالما كل التي يضعها الاهالي على القبور زكاة عن نفوس
 موتاهم . وكان يحلولي التامل هناك وانا منفرد عن البشر فكنت
 اقول في نفسي وانا بين القبور : هذه مدينة السلام . هنا تُدفن
 القوة والكبرياء . هنا تجد الفضيلة والطهارة حتى ترفدان فيه
 بلهان . هنا تطوى كل احزان الحياة ومخاوفها حتى الخوف من
 الموت نفسه . هنا المنزل الرحب الذي يرقد فيه براحة وسلام .
 الكبير والصغير . البرهمي والخارجي . وكلما كنت استسلم الى
 هذه التاملات سنت اكره الحياة واحقر الدنيا واستعذب ورود
 الموت . وكنت البث ساعات متجهاً نحو المشرق وعيناي تاملان
 في النجوم والكواكب العديدة الطالعة منه . ومع انني كنت
 اجهل مصير هذه الاجرام ومبدأها فقد كنت اشعر بانها مرتبطة
 بالانسان واحس بان الطبيعة التي خلقت لنفع البشر اشياء
 كثيرة لا تقع تحت نظرهم يجب ان تكون قد اناطت بهم على
 الاقل تلك الاشياء التي تحت نظرهم . فكانت نفسي لدى هذه
 التاملات ترتفع الى العلى مع الكواكب والنجوم . ولما كان
 ينشق الفجر وتنبعث خيوط نوره فتمتزج بنورها اللطيف كنت
 اخال نفسي على ابواب السماء . ولكنني لما كنت اري عصابة

النور تعم الهياكل والابنية الشاهقة التي حولي كنت انسل من
اطراف المدينة بسرعة واذهب بعيداً عن الناس افضي اكثر



« واذهب بعيداً عن الناس افضي اكثر اوقاتي تحت ظل شجرة

جميلة وانام هناك على نغم العصافير المعشقة فيها.»

صفحة ٦٢ السطر ١

أوقاتي تحت ظل شجرة جميلة وأنا م هناك على نغم العصفير
المعشاة فيها»

الفصل السادس عشر

كيف أحب الخارجي امرأته

وكان الهندي يتكلم والدكتور مصغ اليه بانتباه شديد
أشدة إعجاب به بكلامه وتأثره منه فلما سكت الخارجي لبس تريخ هندية
قال الدكتور

« لقد أثرت بي قصتك ايها الرجل الفاضل وراقني وصفك
للطبيعة وحبك لها فان للطبيعة محاسن ليلية لا تنقص عن
محاسن النهار واعرف شاعراً من ابناء وطني لم يكن يحلوه الا
الترنم بها . ولقد عرفت الآن كيف كنت تعيش في الليل
فاخبرني كيف كنت تعيش في النهار وكيف توصلت الى هذه
السعادة التي تعيش في وسطها الآن

فاجاب الخارجي

«لقد كنت اقضي الليل هنيئاً وكثيراً لمثلي الهناه في نصف

يومه . الا انني ما لبثت ان شعرت بعذاب الوحدة وعناء
الانفراد لان الوحدة عناء كما لها هناه . وقد يخيل للتعيس انها
المرقا الامين يرى منه اهواء البشر وشهواتهم في نضال وعراك من
غير ان يكون لهذه الاهواء والشهوات طريق الى نفسه . ولكن
خاب ظنه فانه بينما يكون مستريحاً فيها ومسروراً بسكون
جاشه وحدوه اهوائه يعد له الزمان ما يهيج سكاناته . فقد
قدر للانسان ان لا يلقي رساته في نهر هذه الحياة وقدّر لهذا
النهر ان يكون طاغياً ياخذ تياره كل ما في طريقه سواء واجبه
او جاراه . ياخذ العاقل والجاهل معاً وكلاهما بعد قضاء ايامها
في هذه الارض ينتهيان الى حد سياحتها وهو القبر دون ان
يتمتعاً بلذة الحياة لان احدهما يكون قد اغفل لذة ايامه والثاني
اساء استعمالها . فرايت نفسي بحاجة الى الاجتماع لانني لست
اكثر حكمة من الطبيعة ولم اجد سبيلاً الى السعادة الا بواسطة
النواميس الابدية التي وضعها الخالق لها . وكانت نفسي تطلب
صديقاً صادقاً يشاركني في السراء والضراء فالتفت هذا الصديق
بين البشر فلم اجد فيهم سوى كل حاسد . ولكنني وجدت بعد
بحث طويل صديقاً حساساً اميناً لا ينكر الجميل وليس للوم

سلطان على قلبه وهو كابي هذا . فأنني وجدته في ذات يوم ملقى
 في إحدى زوايا المدينة وهو في خطر الموت جوعاً فرق له قلبي
 فحضنته وعنيت بتربيته فلتلقني وصار شريكاً وصديقاً مخلصاً لي .
 غير أني لم البثان وجدت صداقته غير كافية لاني كنت بحاجة
 الى صديق اشد تعاسة من نوع الحيوان الى صديق خبر الناس
 وعرف كل متاعب الحياة البشرية ومصائبها ليساعدني على احتمال
 مصائبي و يوافقني على المعيشة في الطبيعة فتتمتع بخيراتها معاً .
 وهل تثبت تجاه العاصفة شجيرة ضعيفة اذا لم تثبتك بشجيرة
 مثلها وتستند اليها . فاجابني الله الى طلبي واعطاني امرأة
 سالحة . ولا تعجب اذا قلت لك انني استقيت مياه سعادتني
 من نبع مصائبي . و بيان ذلك اني قصدت في إحدى الليالي
 مدفن البراهمة فرايت فيه على ضوء القمر فتاة برهيمية مستورة
 بغطاء اصفر اللون . فلما وقعت عيني على شخص من دم اولئك
 الظلمة الطغام الذين هم اصل مصائبي رجعت القهقري مذعوراً
 ولكنني عدت فنقدمت منها ورق لها قلبي وكل جوارحي لما
 عرفت الغرض الذي جاءت الى المدفن من اجله . فأنني رايتها
 منهمكة بوضع طعام على قبر يضم رماد امها التي احرفت وهي



البرهية تضع الطعام على قبر امها
جرباً على عادة البراهمة

حية مع زوجها منذ عهد قريب جرباً على عادة البراهمة .
ثم رايتها تحرق بخوراً على ذلك القبر استدعاءً لروح امها .
فتبليت عيناي بالدموع لدى رؤيتي بشراً اشد تعاسة مني فجعلت

اقول في نفسي وانا ناظر اليها : انني اعيش مستريحاً في هاويتي
 اما انتِ فانك تقيمين مرتجفة مرتعدة على شفا وهدتك . انتِ
 لم تعطي الا حياة واحدة ومع ذلك فانهم يطلبون منك ان
 تموتي ميتتين . ولا يبعد ان يصيبك غداً ما اصاب امك فيجرك
 موت زوجك الى القبر وانتِ مملئة حياة وشباباً . ثم بكيتُ
 لافتكاري بذلك وكانت هي تبكي ايضاً فالتقت اعيننا ومائها
 الدموع فتخاطبت من غير ان نتكلم كما تخاطب اعين النساء .
 ثم صرفت الفتاة نظرها عني وتسترت بغطائها وسارت وانا انظر
 اليها . وفي الليلة التالية عدتُ الى هذا المكان . فرأيت على
 قبر امها طعاماً كثيراً كأنها علمت اني محتاج الى الطعام . وبما
 ان البراهمة يسممون كل ما يضعونه على قبور موتاهم لئلا ياكله
 الخارجيون فانها لم تضع غير ثمار على القبر مخافة ان امس الظن
 بالطعام . فاثرت في هذا الجميل وهذه الشفقة فشكرتها في نفسي
 على رقة قلبها

الفصل السابع عشر

التغاطب بلغة الازهار

في الهند

ورغبة في اظهار ما كان في نفسي من الاحترام لها قطفت
ازهاراً ووضعتها فوق الاثمار من غير ان اتناول من الاثمار
شيئاً . وكانت الازهار التي وضعتها من نوع الخشخاش وهي
رمز عندنا الى الاشتراك في الحزن . ففي الليلة التالية رايت ان
عملي قد نال حظوة في عينها لاني وجدتني قد اعتنت بازهار
فرتبتها وسقتها ووضع بجانب القبر سلة ثانية من الاثمار .
فجرائني جميلها على اظهار ما بدأت اشعر به من الانعطاف اليها
فاستعنت بلغة الازهار جريباً على العادة في الهند . فاضفت الى
ازهار الخشخاش « زهرة الحزن » وهي زهرة معروفة عندنا . ثم
جئت في الليلة التالية فوجدت انها قد سقتها ايضاً . فزادني الامل
جراً فاضفت الى زهرة الحزن زهرة الفولسبات وهي زهرة يتخذها
صناع الاحذية لصبغ الجلود بلون اسود وبها يرمز الرامزون
الى حبه كله تواضع وعذاب . ثم بهكرت في صبيحة اليوم

التالي الى المدفن لارى الزهرة فوجدتها ذابلة لانها لم تسقها .
 فوضعت فوقها وانا مضطرب زهرة الخزام وهي زهرة ذات اوراق
 حمراء وقلب اسود رمزاً الى النار التي كانت لتتقد في قلبي . ثم
 عدت في الغد فوجدت زهرة الخزام ذابلة زاوية ايضاً فاستولى
 عليّ الحزن ولكنني تصبرت ووضعت زرة ورد مع شوكة ولكني لم
 امل بخالطه خوف . فوجدت زرة الورد في اليوم التالي ملقى
 بعيداً عن القبر . فاصابني اليأس وكدت افقد الرشيد فعقدت
 النية على مخاطبتها متى رايتها . ولما شاهدتها داخلة الى المدفن
 انطرحت على قدميها وفي يدي زرة ورد مع شوكة ولكني لم
 استطع ان الفظ كلمة . فصاحت بي الفتاة حزينة : « بالنعاستك
 ونعاستي . تطارحني الحب وانا بين الموت والحياة . لقد مات
 زوجي فيجب ان اتبعه الى محرقة . اقترنت به فتاة وهو شيخ وقد
 مات فيجب ان اموت معه . الوداع . اذهب من هنا وانسي فانني
 لا اكون بعد قليل الا رماداً »

ثم تنهدت تنهداً فنتت قلبي فاجبتها : « لقد قطعت الطبيعة
 الرباط الذي كان يربطك بزواجك ايتها الفتاة التعيسة فاقطعي
 بيدك اربطة الاوهام وهيا واتبعيني لاكون زوجاً لك »

فاغرقت الفتاة في البكاء وصاحت : « أفر من الموت واتبعك
لاعيش معك بالذل والهوان . كلا بل دعني اموت اذا كنت
تحنيني »

ففعل كلامها في قلبي فعل السهام فاجبتها : « معاذ الله ان
ارضى بانقاذك من مصائبك لاضعك تحت نير مصائبي . وانما
اردت ان نتواري كلانا عن اعين الناس . فهيا بنا يا عزيزتي
هيا نهرب الى الغابات والاحراش نخير للانسان ان يلتجئ الى
الاسود والتمورة من ان يلتجئ الى الانسان . ومع ذلك فانه لا
يدعنا نهلك اذا انكنا عليه . هيا فكل شي بعد لنا سبيل
الهرب : حبي لك وظلام الليل وخلو البلاد . اسرعى ايتها
الارملة التعيسة فان المحرقة قد اعدت وزوجك الميت يدعوك
اليها . تعالي ايتها الزهرة الملتوية واستندي الي فاكون لك عوناً
وسنداً »

ولما اتممت كلامي القت الفتاة نظرة الى قبرامها كأنها
تودعها واخرى الى السماء كأنها تطلب مساعدتها ثم انها القت
احدى يديها في يدي وتناولت بالاخري الوردة التي كنت
اقدمها لها . فاخذت في الحال ذراعها وسرنا معاً سيراً حثيثاً .

ولما مررنا بنهر الكانج القيت فيه غطاءها ايها ما لاهلها اذا
 وجدوه انها اغرقت نفسها . فصررنا اياماً عديدة على الطريق وكنا
 نسير في الليل ونختبيء في الادغال كلما طلع النهار . وما زلنا
 سائرين حتى انتهينا الى هذه البلاد فوجدناها قفراء لان الحروب
 الماضية اذنت اكثر سكانها . فاخترنا الاقامة فيها وبينما كنا
 نفقش عن مكان ملائم لنا عثرنا على هذه الغابة فبنينا فيها هذا
 الكوخ المستتر عن اعين الناس وغرسنا هذه الاشجار المثمرة التي
 منها طعامنا واقمتنا في عيش رغيد وبال رخي ففحن السعادة
 الآن على هذه الارض اذا كانت فيها سعادة . واني اجل
 امراتي كما اجل الشمس واحبها كما احب القمر ولا ملذة في
 العالم تساوي عندي ملذة معيشتي معها . ولذلك نعتبر انفسنا
 سعداء في وسط هذه الوحدة . وان كلامنا في اذني وكلامي
 في اذنها لا عذب عندنا من اصوات جميع الناس واطرب من
 ثناء الشعوب "

قال الخارجي ذلك ثم نظر الى سرير ولده وابتم له ولامراته
 التي كانت بجانب السرير تذرف دموع الفرح والسعادة
 فمسح الدكتور دموعه ايضاً لانه بكى من كلام الخارجي

ثم قال له : « حقا ان من يحترمه البشر قد يكون جديرا بكل
احترام ومن يحنقونه قد يكون جديرا بكل احترام . وانت
وراس البراهمة خير مثال لذلك . ولكن الله عادل فانت في
كوكبك هذا اهناء عيشا واحسن حالا من رئيس البراهمة في
كل عظمته وتجده . فهو مع طائفته لا يهناء لهم بال ولا يصفو لهم
عيش فانهم يحملون تبعه الحروب الداخلية والخارجية وتعزى
اليهم كل الفتن والاضطرابات التي تحدث في المملكة فضلا عن
انهم لكثرة حضمهم الشعب على الاستمسك بالخرافات والاوهام
التي يلقونها ينتهون الى الاعتقاد بصحتها اعتقادا ينزع من
نفوسهم عاطفة الحقيقة والعدالة والشفقة ويقيدهم بقيود الاوهام
والعبودية التي اعدوها لابناء وطنهم فيجرمون على ذواتهم الملاذ
الطاهرة التي حلها الله ويقضون على انفسهم بعناء الاغتسال
والتطهير مرارا في النهار و باحراق اخواتهم وبناتهم وامهاتهم
على مرأى منهم ولا ريب ان ذلك عقاب لهم على دوسهم
الطبيعة ومناقضتهم نواميسها . واما انت فانك تعيش سعيدا
هنيئا بال لانك تحترم الطبيعة وتعمل طبقا لنواميسها . ولا
شبهة في انك اسعد واعظم من الملوك والبراهمة والاعاظم

الفصل الثامن عشر

السفر

ولما اتم الدكتور كلامه استاذنه الخارجي في مفارقتة
 يتركه يستريح من تعب السفر وعناء النهار . ثم خرج مع امراته
 وابنه الى القسم الثاني من الكوخ . فنام الدكتور وهو يفكر في
 اقوال الخارجي وفي الصباح انتبه الدكتور باكراً على اصوات
 العصافير المعششة في الشجرة التي كانت تظلل الكوخ وعلى صوت
 الخارجي وامراته اللذين كانا يصليان صلاة الصباح . فنهض
 من فراشه ودخل الى القسم الثاني لمشاهدة الخارجي فلم يجد في
 المكان فراشاً فعلم انها بانا في تلك الليلة على الارض او قضيا
 ليلهما ساهرين ليجملاه بنام مستريحاً على الفراش الوحيد الذي
 عندهما . ولما ابصره الزوجان القيا السلام عليه ثم اخذا باعداد
 طعام الصباح فحضر للدكتور ان ينزل الى الحديقة لمشاهدتها
 والتنزه فيها فخرج واخذ يتنزه بين اشجارها الملتفة بالاثمار

وهو مشتغل عن المواضيع العلية والاطماع العالمية . وكان يراجع
في نفسه اقوال الخارجي فيجد ان هذا الرجل العائش عيشاً طبيعياً
هو اسمى عقلاً واصح شعوراً من العلماء والفلاسفة الذين صرفوا
ايامهم بين كتب العلم والفلسفة

وبعد وقت قليل خرج الخارجي من الكوخ ليدعو الدكتور
الى طعام الصباح . فقال له الدكتور وهو ينقل في حديثه :
ان حديثك جميلة ولكن لماذا لا توسعها فاني اراها صغيرة
فاجاب الخارجي . كلما كان منزل الانسان صغيراً كان
ذلك اسهل لاختبائه وتستره . وان ورقة واحدة من الشجرة
كافية لبناء عش العصفور

ثم دخلا الى الكوخ فوجدا الطعام معداً فجلسا ياكلان
وهما صامتان . ولما نهض الدكتور عن الطعام ابلغ الخارجي انه
عزم على السفر فحزن الخارجي وقال له

تمهل ياسيدي فان مياه المطر لم تجف في الطرق بعد
فاتم جميلك علينا واصرف هذا النهار عندنا

فقال الدكتور . لا استطيع ذلك باصاحبي لان في صحبتي

اناساً كثيرين

فقال الخارجي . اظنك اشتقت الى بلادك حتي رغبت
 في سرعة العودة اليها . فسر ياسيدي الى تلك البلاد السعيدة
 التي يعيش البشر فيها باتحاد وسلام كأنهم اخوة في عيلة واحدة
 فنهض الدكتور وهو يتنهد من اعماق قلبه . ثم قال في
 نفسه متهمكاً : " نعم نحن نعيش كاخوة في عيلة واحدة "

• ثم اشار الخارجي الى امراته فانت بسلة مملوءة بالازهار
 والاثمار وقدمتها للدكتور وهي مطرقة الى الارض . فتكلم
 الهندي بالنيابة عنها قائلاً

فلتمس منك ياسيدي ان تعذرنا لفقرنا فاننا لانملك
 طبيباً لنطيب به ضيوفنا جريباً على العادة في الهند وانما طيننا
 ازهارنا فتنازل الى قبول هذه الاثمار التي جنتها يد امرأتني .
 وهذه الازهار التي رانحتها ثابتة رمزاً الى ثبات حبتنا واخلاصنا
 ودوام ذكرك عندنا

فتناول الدكتور السلة بسرور واجابه قائلاً

لا استطيع ان اقضي حق ضياقتك يا اخي ولا ان اظهر
 كل ما في نفسي من الاحترام والحب لك . ولكني اقدم لك
 هدية ايضاً لتذكرني بها كما انني ساذكرك بهديتك . فاقبل

مني على سبيل التذكار ساعتى الذهبية فانها من معمّل كراهام
 اشهر ساعاتي لندن وبكفي ان تدار مرة واحدة في السنة «
 فاجابه الهندي . لسنا بحاجة الى ساعة ياسيدي اذ لدينا
 ساعة لا ثقف ولا يطرأ عليها خلل وهي : الشمس
 فقال الانكليزي . ولكن ساعتى تنبه في كل ساعة
 فاجاب الهندي . لا نحتاج اليها ياسيدي فان عصفير
 حديقتنا تفعل فعلها
 فقال الانكليزي مدهوشاً . فاقبل مني اذا هذه العقود
 المرجانية لامرأتك وولدك
 فاجاب الهندي . ان امرأتى وولدى في غنى عن هذه العقود
 لان الازهار كثيرة في الحديقة
 فقال الانكليزي . فاقبل اذا هذين المسدسين لتدفع
 بهما عن كوخك غارات اللصوص في هذه البرية المقفرة
 فقال الهندي . ان الفقر سور يبعد اللصوص عن الفقراء
 وربما كانت قبضة غدارتك المفضضة سبباً لجلب اللصوص اليها
 فلا يعود ينفعنا رصاصها . فاستخافك بالله الذي بين يديه
 حياتنا والذي منه وحده ننتظر مكافأتنا ان نترك لنا فضل

ضيافتك ولا تجتهد في ابتياعه منا

فقال الدكتور وقد تاثر جداً من هذا الكلام . ولكنني في

كل حال احب ان يكون بين يدك اثر مني

فقال الهندي . احسنت في هذا الفكر ياسيدي ورغبة

في ذلك افترح عليك مبادلة جميلة وهي ان تهبني غليونك واهبك

غليوني فيكون في يدي اثر منك وفي يدك اثر مني . وكما دخنت

بغليونك ذكرتك وذكرتك على الخصوص ان عالماً من علماء الافرنج

تنازل الى قبول ضيافة خارجي حقير ولم يترفع عن مجالسته

ومواكلته

فقدم اليه الدكتور غليونه وكان مصنوعاً من الجلد

الانكليزي وقمه من الكهرباء ثم تناول غليون الهندي وكان

من الخيزران وقمه من الطين المشوي

ثم ان الدكتور نادى حاشيته ودنا من الخارج فعاتقه

وودع امراته وولده . وكانت المرأة واقفة امام الكوخ تبكي

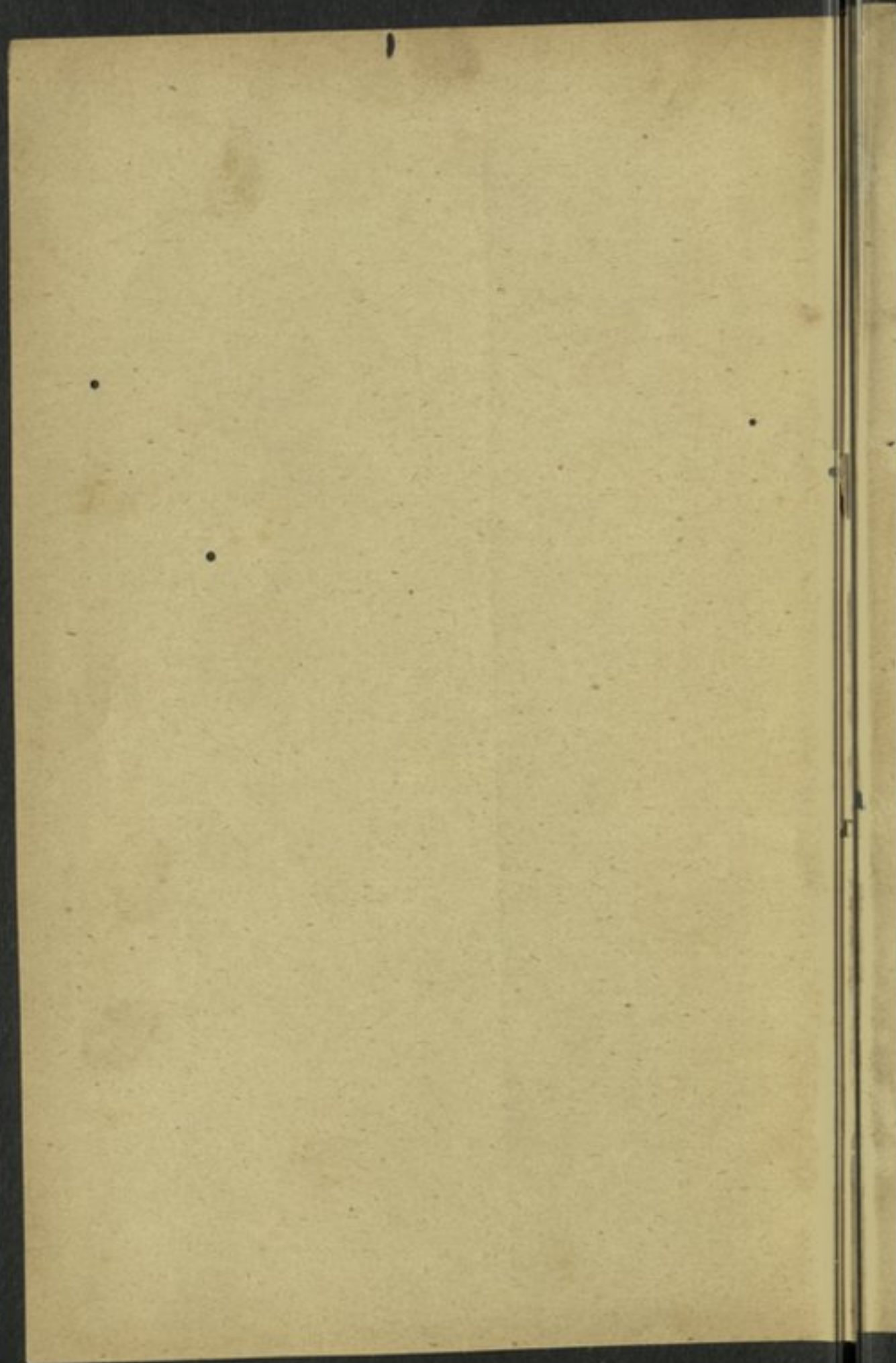
لفراق الضيف وطفلها بين ذراعيها . ثم سار الدكتور نحو

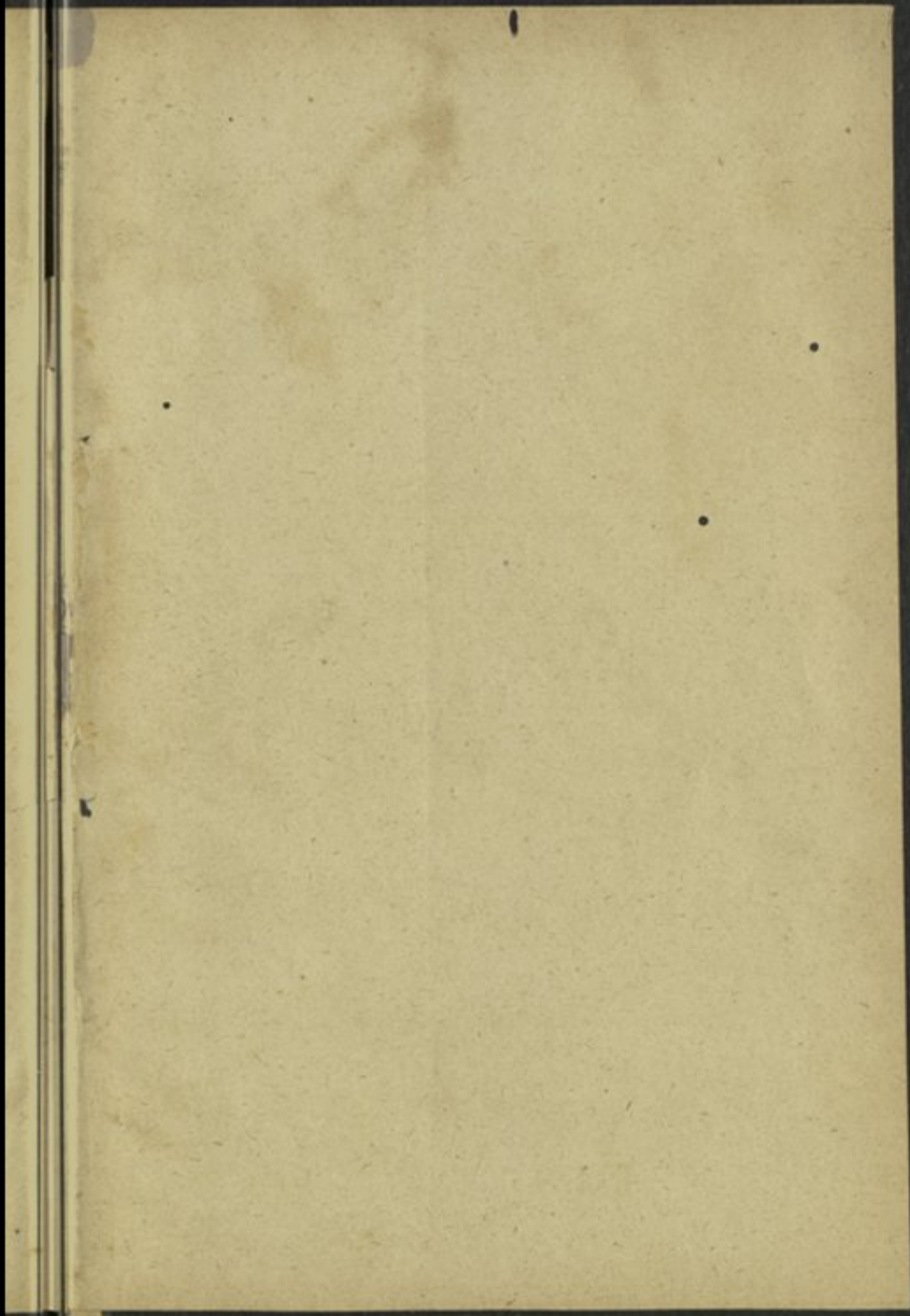
هودجه فلحق به الهندي الى طرف الحرش وهو يدعوله بقوله

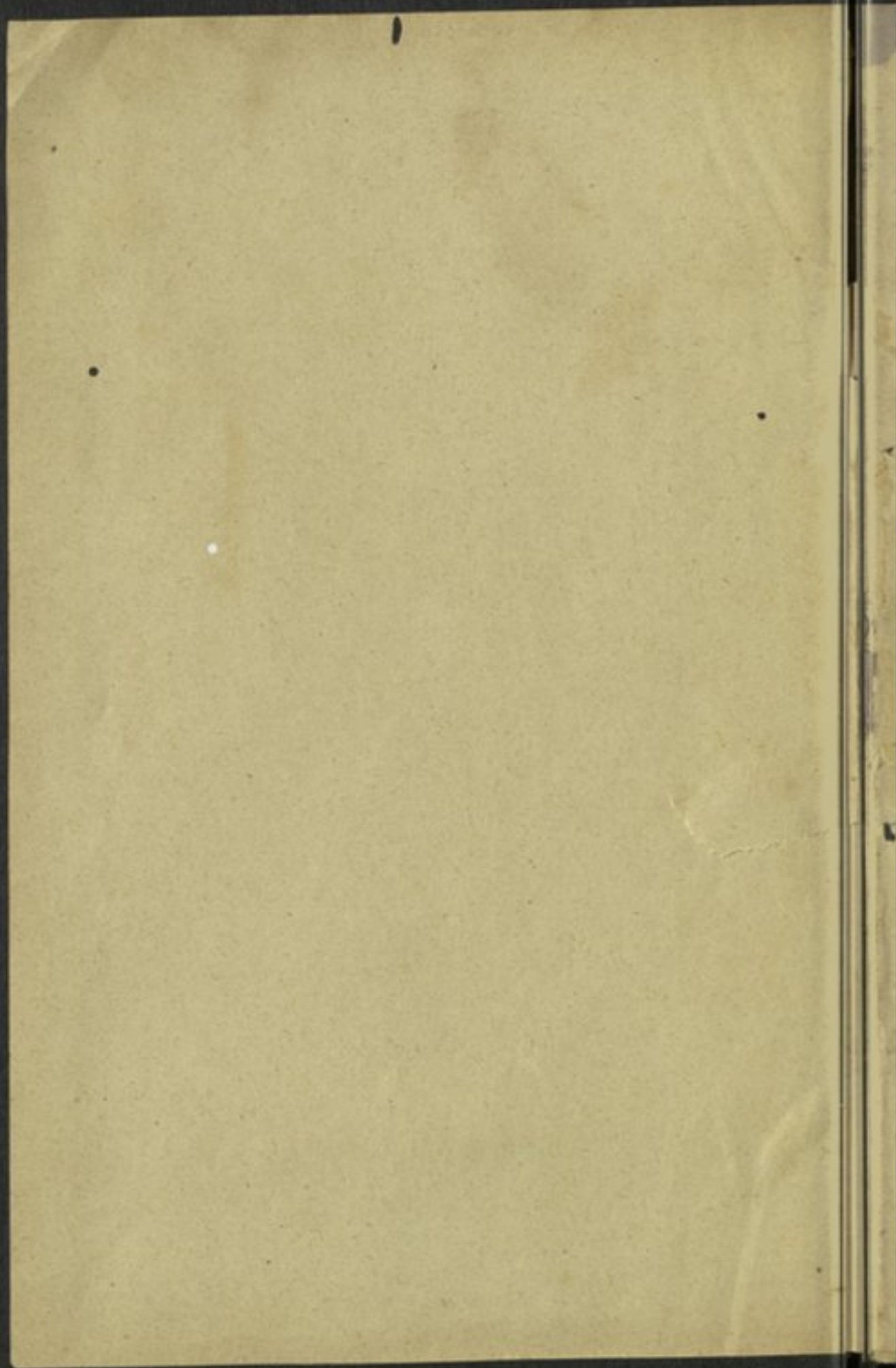
« فليكانك الله على التفاتك للتعساء . ليجمعني فذاك اذا

كان قد قدر لك شرًا . ليلفك وطنك براحة وامن .
وليوصلك بسلام الى تلك البلاد الجميلة وطن العلم والعلماء حيث
يعيش البشر باتحاد كأنهم اخوان و يبذلون كل ما في وسعهم
للتفتيش عن الحقائق وخدمة بني الانسان »
فاجابه الدكتور بهذه الكلمات الوجيزة التي يجوز ان
تعتبر حكمًا على الهيئة الاجتماعية الحاضرة . وهي
« يحق لك ايها الانسان الفاضل ان تفخر على بني البشر
قاطبة . فاني اجتزت في سياحتي هذه نصف الكرة الارضية
ومع ذلك فاني كنت ارى حيثما نزلت رواق الجهل والشقاق
ممدودًا . ولم اجد الحقيقة والسعادة الا في كوخك هذا »

تم الكوخ الهندي







A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00496992

848
S149kA
1901